موفا
رواية
محمد الناصر
حشرجة
RATTLE
ساحر الكتب

العنوان
حشرجة

تأليف
محمد الناصر

الطبعة
الثانية 2024

تحرير
مريم السنعوسي

ردمك:
978-9921-811-01-8
رقم الإيداع: 2258/2023

تصميم وإخراج
نوفا بلس للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

www.novapluskw.com

الإهداء

إلى الذين يُقلّبون نظراتِهم الحزينة بين صفحات ذكرياتهم
التي غالبًا ما تزيدهم ألمًا... ثمّ يبتسمون في وجهك
ويخبرونك أنّهم بخير

جروح الماضي لا تندمل..

مهما حاولت تضميدها..

ستظل تنزف دماء الخيبة والخذلان إلى لأبد

كالعادة لا مقدمات في حكاياتي؛ لأنّكم أصبحتم

تعرفون أنني أكرهها

دعونا ندخل للرواية سريعًا

فجر :

1

لا يبدو أنه سيكون يومًا عاديًا أبدًا، كان كل شيء رماديًا كحال الأجواء المغبرة خارجًا، أجلس بزاوية الغرفة محاطةً بالهلع، الرعب يكتسح وجداني، الذي بات منصهرًا من الخوف، وذاك المعتوه يقف فوق رأسي يحمل بيده سكينًا لامعةً، جسده النحيل ووجهه المتعب، لا يوحون لك أنّك مع وحش في بداية الأمر، لكنّ وجوده هنا وهو ينظر لي بتلك النظرات الحادة، رسخ في عقلي فكرة أنّني مع إنسان يريد إيذائي.

اقتحم غرفتي بلا سابق إنذار، كنت نائمةً وقتها، ولم أستيقظ إلا على صوته الخشن، وهو يداعب خصلات شعري مردّدًا:

- لا تزالين على قيد الحياة يا حبيبتي!!

نهضت مفزوعةً على هذه الجملة، هنا انتبه لي بسبب انفعالي غير المتوقع بالنسبة له، صرخت بأعلى صوتي ثم قلت:

- من أنت؟ كيف دخلت المنزل؟ ولماذا تتواجد بغرفتي بهذا الوقت؟

لم يجب على تساؤلاتي بل ركز على وجهي، نظراته وإيماءاته تؤكد أنّ هذا الشخص كان يعرفني منذ زمن بعيد، الاشتياق والبهجة والسرور كلها اجتمعت بسحنته، بينما

احتلّ الفزع كياني واجتاح روحي، قال قاطعًا تلك اللحظات المربكة:

- ألم تعرفيني يا إسراء، أنا فواز؟

لم أفهم ماذا يريد هذا المعتوه، وعن أي إسراء يتحدث، كنت بحالةٍ نفسيةٍ متعبةٍ، وقلبي يكاد أن يخرج من صدري، قلت هنا مرة أخرى بصوت متوتر:

- عن أي إسراء تتحدث؟ لا أعرف أحدًا بهذا الاسم، وحتى هذه اللحظة أسألك محذّرة، إياك والاقتراب مني، ولو حاولت فعل أي شيء ستجد ردّة فعلي عنيفةً، أحذرك من أي تصرف من الممكن أن يؤذيني، قل لي: كيف دخلت بيتي؟

لا يزال ذلك المعتوه صامتًا، ولا تزال عيناه تتوهّجان فرحًا، كأنّه للتوّ وجد شيئًا قد ضاع منه منذ فترةٍ طويلةٍ، قال متجاوزًا الإجابة على أسئلتي:

- لا تزالين تنكرينني كما فعلت في السابق، أعلم أنّ ما قمتُ به من أعمال كانت مخجلة، لا تليق بي ولا بك، وأعدك أنّني سأتوقّف عن ذلك بمجرد أن تعودي إليّ.

لا يزال مقتحم بيتي هذا يقول أشياء لا أفهمها، أعصابي تكاد أن تنهار بسبب ما أنا عليه، وجسدي منهكٌ بعد ليلةٍ قضيتها في المستشفى، قلتُ له متوسّلةً:

- أرجوكَ لا تؤذِني، إذا كنت تريد المال فسأعطيك ما تُريد، حقيبتي بها مبلغٌ ماليٌ جيّدٌ، وإن لم يكن كافيًا فأنا مستعدّةٌ

للذهاب لأي بنك قريب، وأسحب لك كل رصيدي، أرجوك..

كعادته الأولى لم يهتمّ لكلماتي وعاد وقال ذلك الاسم الذي لا أعرفه:

- إسراء.. بحق العشرة الطويلة التي بيننا، لا تنكري وجودي، فأنا لا زلت أحبُّكِ ومستعدًا لفعل أي شيء في سبيل استمرار حبنا.

أخذت نفسًا عميقًا محاولةً إدراك ما يدور حولي، همست بنفسي لابد من التوازن والتفكير بطريقة عمليّةٍ بعيدًا عن هذا الارتباك، شخصٌ يقتحم مسكني بهذه الساعة من الليل، ويردد اسمًا لا أعرفه، وبيده سكينه ومنظره مكفهرٌ لا أعلم ما يخفي بداخله، أعيش حالةً من التناقض المَقيت، إن كان لصًا لقام بالبحث عمّا يريده، أو على الأقل سيطلبه مني.

وإذا كان مجرمًا لقام بقتلي، فلا يفصله شيءٌ عني سوى متر واحد، والظروف الحالية تقف بجانبه، ولا يوجد أي شخص معي هنا أستنجد به بهذا الوقت، فأنا في وضعٍ لا أُحسد عليه، قلت له بعد هذا التحليل السريع للحالة:

- ماذا تريد مني؟ لقد دمّرتَ أعصابي.

قال بهدوء وعينَين هائمتَين:

- لا أريد شيئًا سواكِ، لم أتوقّع في يوم من الأيام أن أجدَك مرة أخرى، لقد فقدت الأمل برؤيتك، وأشكر أقداري التي أصبحت تقف بجانبي وساندتني طوال اليومَين الماضيَين.

بعد الانتهاء من جملته تلك تذكرت شيئًا، جعل أطرافي ترتجف، هذا المجرم الهارب الذي يتحدّثون عنه، إنّه السّفّاح الذي قام بقتل عددٍ من النساء منذ شهورٍ مضَت، تذكّرت ليلة أمس عندما جاءت الشرطة وأبلغتني أن هناك مجرمًا خطيرًا هاربًا، يالحظّي السّيء ترك كلّ منازل الحي، واختار منزلي!! ابتلعت ريقي، وتراجعت للوراء قليلًا، وقلت:

- أأنتَ المجرم الهارب الذي يتحدّثون عنه؟

عند سماعه تلك الجملة، تغيّرت ملامح وجهه بسرعة، وأخرج لي وجهًا آخرَ غير ذلك المُتيّم، كأنه كان يرتدي قناعًا ونزعه فجأةً، وقال:

- لستُ مجرمًا.. أنا مظلومٌ لم أقم بقتل أحد، ما يردّدونه حولي مجرّد اتّهاماتٍ ليس لها أساسٌ من الصّحّة، وبعد ذلك تقدّم ناحيَتي وهو يرفع السكين التي لمعت من الأعلى، قلت له بعد أن صرخت بأعلى صوتي:

- لا تقتلني أنا لم أؤذِك بشيء.

وفور نطقي لتلك الجملة، ومن هول المشهد المخيف، سقطتْ مغشيًّةً على فراشي، ولم أستفق بعد ذلك إلا على صوته مرّة أخرى وهو يردّد تلك الجملة:

- أفيقي يا حبيبتي.. أنا آسفٌ لم أقصد إرعابك، فأنا لن أؤذيك يا إسراء بعد الآن، وكل ما أريده منك أن تذكريني جيدًا، مستعدٌّ للقيام بأي شيءٍ تريدينَه مُقابلَ ألّا تنكريني، فأنا لم أنساك أبدًا.

نظرت له بعد أن شعرت أنّني ممدّدةٌ على فراشي، بعينَين ذابلتَين، ولم يكن أمامي في المشهد سوى وجهه الذابل، إذ بانت معالمُه جيّدًا، هنا لم أستطع أن أتمالك نفسي وغبت عن الوعي مرّةً أخرى.

الرائد وليد :

2

لا أدري من أين أتى بكلّ هذا الحظّ؟ ولا أعلم كيف سأواجه العالم الخارجي؟ بعد أن فلت من قبضتي أهمّ مجرمٍ تبحث عنه الصحافة والأعلام، بل الكويت بأكملها.

مرّت عدّة شهورٍ على عبثه الدامي، وسلسلة جرائمه التي كان يقترفها بحق النساء، أدخلَ البلاد في حالةٍ من الرعب، جعل جميع النساء يأوين إلى بيوتهنّ في ساعاتٍ مبكّرةٍ من اللّيل.

يومها كنت بحالة نفسيّةٍ مُربَكة، بعد أن أبلغني أحد أفراد الأمن الذين أعمل معهم عن هروب القاتل فواز من مركز الشرطة، لم أدرك ما قاله في البداية ودخلت في دوامة لا قرار لها، فجأةً.. كأنّ أحدَهم قام بصفعي صفعةً مدويةً على وجهي ولم أستفق منها جيدًا، كيف هرب منكم بهذه السهولة؟

ليلتها دخل مركز الشرطة وأفراده في حالة استنفارٍ لا مثيل لها، الكل راح يبحث عن هذا المعتوه في كلّ مكان، الظروف والأجواء كانت تسير معه وتقف في صفّه، لم تتركه إلا بعد أن خلّصته من جدران مركز الأمن.

أذكر وجه الشرطي المضطرب الذي دخل عليّ وقتها، وقال بصوت يملؤه الخوف والتّوتُّر:

- لقد هرب منّا يا سيّدي.

لم أدرك ما قال في البداية.. وسألته مستفهمًا منه من الذي هرب؟، ليقول بعدها:

- المجرم فواز قد هرب.

صرخت في وجه الشرطي وقلت:

- كيف له أن يهرب وهو مكبّلٌ من يديه ورجليه بالأصفاد؟ أين كنتم وقتها؟

أجابني بصوتٍ مرتجفٍ والعرق يتصبّب من أعلى جبينه:

- كنت أسير معه جنبًا إلى جنبٍ حتى أوصله إلى المركبة المصفّحة لنقله للسجن المركزي، بعد أن أبلغني أحد الزملاء أنّ التحقيقات الأوّليّة معه قد انتهت، وعلينا تحويله إلى النيابة العامة لاستكمال التحقيق معه، وبالفعل نفّذت الأمر، في البداية كنت أسير مع المتّهم ناحية البوّابة الرئيسيّة، واستوقفني بعدها زميلٌ آخر، وطلب منّي أن أذهب للبوابة الخلفية لمركز الشرطة؛ بسبب وجود عددٍ كبيرٍ من رجال الصحافة والأعلام، ينتظرون لحظة خروج هذا المجرم الذي كان الشُّغلَ الشاغل لهم، بعد أن كتبت عنه الصحافة الكثير، وأعطته الألقاب، وهذه هي فرصتهم الآن حتى يلتقطوا صورًا له.

صحت بغيظٍ وقلت:

- إلى هذه اللحظة لا يوجد مبرّرٌ واحدٌ حتى يهرب منك بهذه السهولة.

ابتلع الشرطي ريقه كأنه يريد أن يأخذ نفسًا وأكمل حديثه:

- لم ينتهِ الوضع عند هذا الحد، استمعت لكلام زميلي، وتوجّهت للبوابة الخلفية حيث تنتظرني سيارة النّقل، التي كانت تقف بجانب البوابة الخارجية، ويدا المجرم مكبّلةً بالأصفاد، وكل شيء كان يؤكّد أنّ الأمور كلها تسير على ما يرام، وقبل أن نصل للمركبة وقفت لفتح قيود رجليه، وما إن انحنيت حتى تغيّر الوضع، فجأةً.. شعرت أنّ السماء قد ابتلعَتنا، لم أستطع مشاهدة أي شيء، الغبار غطى جميع المساحات، تركت المفاتيح الخاصة بالأصفاد، ووضعت يدي على وجهي لحمايته من هذا الغبار اللعين، لم يكن أمامي سوى التراجع للوراء، أدركت بعد ثوانٍ أنّني مع أخطر مجرمٍ في الكويت، مددتُ يدي أريد أن أقبض عليه، لكنه لم يكن يقف بجانبي هذه المرة، صرخت على الأفراد الذين معي، ولم أسمع أي إجابة منهم.

كان الوضع فوضويًا، لم نكن نستطيع رؤية شيء، فقط لون التراب ذلك الذي هيمن على جميع الأرجاء، وصوت السعال الذي ملأ المكان.

قاطعتُ حديثَه وقلت:

- هل تقصد أن الغبار، هو من ساعد المجرم على الهروب؟!

هزّ الشرطي رأسه بأسى وقال:

- بالفعل يا سيدي موجة الغبار غير المسبوقة هي من ساعدته على الفرار، لم نكن نتصوّر أن يحدث هذا كله،

الظروف المباغتة هي من كانت تسانده، حتى لحظة فكّ القيود من رجليه كانت بالنسبة له مثالية، وطبعًا الوقت كان أيضًا عاملًا مساعدًا، فلم تهدأ الأمور إلا بعد ساعة.

وضعت يدي على رأسي أفكر بطريقة ما لإعادة الأمور إلى نصابها، ما هذه المصيبة التي حلّت على رؤوسنا؟ أين سنجد هذا المجرم مرة أخرى؟ لا أريد أن نتفاجأ بجريمة قتلٍ جديدةٍ.

كيف لي أن أبلّغ الأعلام عن هروبه الغريب؟ أعلم جيّدًا خباثة الصحافة، فهم سينسجون قصصًا عن تعاوننا مع هذا المجرم من أجل هروبه، لن يتركونا نعمل بهدوء مهما برّرنا لهم، لابد أن أُعيد ترتيب الأمور.

وقفتُ بعد أن قطعت حالة التيه تلك وقلت للشرطي أن يبلّغ الجميع بالحضور لمكتبي بسرعة.

وما هي إلا دقائق حتى وصل الجميع، وقلت لهم بحزم:

- علينا جميعا تكثيفُ جهودنا في البحث وتطويق المنطقة، وإقامة نقاط تفتيش على جميع المخارج، والخروج في دوريات تمشّط جميع الشوارع، وأريد أيضًا أفرادًا للبحث ما بين الأزقّة والممرّات، ويجب أيضًا التواصل مع الأهالي خاصة البيوت القريبة من المخفر، وإبلاغهم بتفاصيل ما حدث اليوم، وتحذيرهم من هذا المجرم الخطير، لا أريد أن يمرّ اليوم حتى نقبض عليه مرة أخرى ونسلّمه للسلطات.

خرج الجميع من عندي، متوجّهين لتنفيذ ما طلبته منهم،

فلا مجال للتأخير، قمت بعدها بالاتصال بعدد من المسؤولين الكبار في وزارة الداخلية، وإبلاغهم بكل ما حدث، كما تواصلت مع بعض وسائل الإعلام الرسمية شارحًا لهم ما حدث وخطورته، وطلبت منهم أن يساعدونا في عملية البحث من خلال رسائلَ يوجّهونها عبر منصّاتهم، ومساندتنا في إلقاء القبض عليه.

رنّ بعدها هاتفي الثّقّال لأجد المتّصل زوجتي:

- أهلًا علياء.

أجابتني بعدم اكتراث:

- أين أنتَ؟ لمَ لم تعد للبيت بموعدكِ يا وليد؟

أخذت نفسًا عميقًا وقلتُ:

- لن أعود اليوم فلديّ عملٌ كثير.

قالت لي بعصبيّةٍ:

- كما هي عادتك تتحجج في العمل، ناسيًا أنّ لديك بيتًا وأولادًا.

قلت لها بتأفُّفٍ:

- علياء أرجوك أنا بحالة نفسيّةٍ سيّئةٍ، لديّ حالة طوارئ ستعرفينها جيدًا عندما تتابعين الأخبار، مضطرّ الآن لإغلاق الهاتف فلديّ عملٌ كثيرٌ.

أغلقت الهاتف بوجهها، وأنا أعرف أنّ ما فعلته غير لائقٍ،

لكني أعلم أن زوجتي لن ترحمني ولن تتفهّم ما يحدث لي الآن.

فجر:

3

لا يزال جالسًا بجانبي ينظر لي بتلك العينَين الشاحبتَين، قلبي تراقص رعبًا حينَها، السكين اللامعة الموضوعة على الطاولة كانت هي الحدّ الفاصل ما بيني وبينه، أفكر مليًا في قلب الطاولة عليه ولكنّني لا أعرف كيفية فعل ذلك، وبنفس الوقت لم أكن أملك الجرأة على أداء هذا الأمر.

تذكّرت ما حصل قبل يومين، منذ لحظة ذلك اليوم الغابر، الذي غزى به الغبار جميع أنحاء البلاد، وجعلني أعيش بحالة من الخوف على والدتي الكبيرة بالسن، والتي تعاني من مرض الربو.

أتذكر جيدا بعد حلول المساء.. أنّني سمعت طرقات على باب البيت، لأجد أحد أفراد الشرطة، بزيارةٍ غير متوقّعة:

- مساء الخير سيّدتي.

هذا أوّل ما قاله لي.

أجبته بارتباك كوني لأول مرة أرى شرطيًا يقف عند باب منزلي:

- مساء النور

ثمّ صمتُ بترقُّبٍ أنتظر ردّة فعل منه ثم قال:

- نعتذر عن هذه الزيارة المفاجئة بهذا الوقت، لكنّ ما حدث

الليلة استدعى رجال الأمن للقيام بهذا الأمر، بعد هروب مجرمٍ خطيرٍ اليوم من المخفر مستغلًا حالة الفوضى بسبب هذا الغبار.

نظرت له باستغرابٍ، وفكّرت قليلًا ثم قلت:

- وما شأني أنا بهذا كلّه؟

أجابني مبرّرًا:

- أعلم جيدًا أنّه لا دخل لكم بما حصل، وكل ما أريده أن تتعاوني معنا، ما أحتاجه منك لا يتعدى بضع دقائق لأسألك بعض الأسئلة، وسأشرح لكم ما حدث وما هو مطلوب منك.

رددت عليه ومازال الاستغراب مُرتسمًا على مُحيّاي:

- حسنًا.. تفضّل اسأل ما شئت.

بعدها أخرج ورقةً وقلمًا من جيبه، وأكمل حديثه قائلًا:

- هل شعرت بحدوث شيء غريب خلال الفترة الماضية؟

أجبته قائلةً:

- لا لم يحصل أي شيءٍ غريبٍ، فأنا لم أخرج منذ الصباح

سألني مجدّدًا:

- من يسكن معكِ هنا؟

أجبته:

- أنا أعيش هنا مع والدتي الكبيرة بالسّنّ.

راح يدوّن ما ذكرته له ثمّ قال:

- سيدتي الوضع الرّاهن يتطلّب من الجميع التعاون معنا، للقبض على المجرم، في حال حدث أي شيء غير متوقع أو غريب ما عليك سوى الاتصال على هذه الأرقام، المُتّهم الهارب خطيرٌ جدًا فهو سفّاحٌ مطلوب بجرائمِ قتلٍ متعدّدةٍ، أغلِقُوا أبواب بيتكم جيدًا، فنحن لا ندري ما هي ردّة الفعل أو الخطوة التالية التي سيقوم بها.

شردت بذهني قليلًا وقلت:

- حسنا سأكون متعاونة، وتأكد أنّه لم يحصل أي ما يثير التساؤلات أو الشكوك، وإن طرأ أمرٌ غريبٌ لن أتردّد بالاتصال بكم.

استأذن الشرطي واعتذر قبل رحيله، دخلت البيت وكنت وقتها مشتّتةَ الذهن لما قاله، لا أنكر أنه أصابني ببعضٍ من التوتر والقلق، هنا واجهت والدتي التي كانت تسير على الكرسي المتحرك وقالت:

- من الذي يزورنا بهذا الوقت يا فجر؟

قلت لها محاولةً عدم إثارة قلقها:

- إنه جارنا العم راشد، يريد الاطمئنان علينا بعد موجة الغبار تلك.

أعلم جيدًا أنّني لو قلت لها إن الشرطة هي من كانت بالخارج، لدخلت معها بحالة من الخوف والجزع، وسيل من

الأسئلة له بداية ولا نهاية له.

قاطعَت فترة شرودي تلك وقالت:

- سأذهب لغرفتي كي أخلد للنوم، أشعر بالتعب والإنهاك.

دفعتْ كرسيّها المتحرك وتوجّهت بها لغرفتها، وآويتها في فراشها بعد أن تأكّدت من وجود جميع أدويتها وجهاز الأوكسجين بجانبها، واستيقنت من إغلاق النوافذ ثم شغّلت الجهاز المُنقّي للهواء، خوفًا من حدوث أي طارئ بسبب الأجواء المغبرة، فوالدتي مريضة ربو، ولا أريد أن أترك أي شيء للصدف، ثم قلت لها:

- هل تريدين منّي يا أمي المبيت بجانبك؟

نظرت لي بغضبٍ غير مبرّر:

- هل تعتقدين أنّني طفل ويحتاج رعايتَك؟ لا أحتاجك بشيءٍ فقط أطفئي الأنوار وأغلقي الباب وراءَك.

ابتسمت بتصنُّعٍ وقلت:

- بالتأكيد أنّك لست طفلة ولا تحتاجينني ليس هذا ما أفكر به، كل ما في الأمر أنني أريد الاطمئنان عليك فقط.

قالت بحزم:

- فكري بنفسك، ولا تقلقي عليّ كثيرًا، اهتمّي بشؤونك جيدًا، سأكون بخير، ما دمتِ بعيدة عني.

خرجت من غرفتها و كنت أعلم أنني لن أصل معها لأي

نتيجة، اعتدت على كلماتها الجارحة، وبعد ساعتَين نهضت من نومي بسبب صوت سعالٍ قويٍّ، وعندما ذهبت لغرفتها وجدتُها بحالة اختناقٍ يُرثى لها، وحاولت إسعافها لكنّني لم أستطع ذلك، بدافع وضعها السيء حتى أُغمي عليها، قمت بطلب الإسعاف اللذين أتوا بعد نصف ساعة من الاتّصال بهم، وسط أجواءٍ من الخوف والترقب.

بقيت معها في المستشفى حتى الصباح، أترقّب حالتها الصحية، التي كانت تسوء بسبب حالة الجو المضطربة، أنام ساعةً وأصحو ساعةً، وكانت كراسي المستشفى هي المكان الذي ألقي عليه جسدي المُنهَك، وفي المساء شحب وجهي حتى وصلت لأقصى مراحل التعب الواضح، الذي رآه أحد الأطباء وطلب مني المغادرة للراحة، لأنّه وعلى حسب ما يقول لا فائدة من وجودي الآن، كون والدتي تحت رعايتهم ولو حصل شيء سيتم الاتصال بي.

اقتنعتُ بما قاله الطبيب، خرجت والإعياء بالغٌ منتهاه، أريد الذهاب لغرفتي، وعندما وصلت أخذت حمّامًا دافئًا لمحاولة نفض التراب والتعب الذي على جسدي، ثم ألقيت بجسمي المُنهك على السرير وغصتُ في نومٍ عميقٍ، دون الإحساس بأي شيء ولم أستيقظ إلا على صوت هذا المعتوه الذي كان يقف على رأسي، في البداية تصوّرت أنه كابوسٌ، ويالللأسف لم يكن كذلك بل كان حقيقةً أتجرّعها الآن بمرارةٍ.

فواز:

4

هل ما أراه حقيقة أم أنّني أتوهّم؟ لا.. إنّها هي بلا شكٍّ، لم تكن عيني تخطئ أبدًا، إنّها هي بشحمها ولحمها، إسراء التي ملكت قلبي، لقد كذّبوا

عليّ بالسابق عندما قالوا إنها ماتت، وها هي الآن أمامي بجمالها ودلالها، لم يتغير بها شيءٌ، سوى أنّها أصبحت أكثر جمالًا ونضوجًا، والأمر المحزن إلى الآن أنّها لا تعرفني، قطعت وصلةَ تفكيري تلك وقلت لها:

- لا تزالين خائفةً مني إلى الآن؟

نظرت لي بعينَين يملؤهما الرعب وقالت:

- من الطبيعي أن أكون خائفةً، رجلٌ غريبٌ يقتحم بيتي، ويُشهر بوجهي سكينًا، وتريديني أن أكون مطمئنّةً!، وفوق هذا كلّه تدعوني باسمٍ لا علاقة له باسمي، وتطلب منّي تذكُّر أشياءَ لا أعرفُها.

ابتسمت بمحاولةٍ لترطيب الأجواء المتوتّرة وقلت:

- أعلم أن لقاءنا هذا لم يكن مرتّبًا بشكل جيّدٍ، لكن ماذا أفعل؟ لو كنت على دراية أنّني سأقابلك لأحضرت معي هديّةً وباقةً كبيرةً من الورد الأحمر بدلًا من هذه السّكّين، لكن هي الظروف التي جعلَتني أبدو لك بهذه الصورة.

قالت لي وهي تحاول أن تتمالَك توتُّرها:

- أجبني بصراحةٍ هل أنتَ ذلك المجرم الهارب الذي يتحدّثون عنه؟

أخذت نفسًا عميقًا محاولًا السيطرة على أعصابي أمامَها حتى لا تخاف مني وقلت:

- نعم أنا هو ذلك الشخص الذي يتحدثون عنه.. ولكن لا تصدّقي ما يقولونه عنّي.

بعد انتهائي من تلك الجملة شعرت أنّها زادت بتوتُّرها وقلت هنا:

- لا تخافي مني يا حبيبتي ولا تقلقي فأنا لن أؤذيك أبدًا، أنت مختلفةٌ عنهم، أعلم أنّ ملامحي قد تغيّرت وشخصيّتي أصبحت أكثر حدّةً، الظروف يا إسراء هي من جعلَتني بهذه الحال، أحتاج فقط أن أختبئ عندك في الوقت الحالي، لفترةٍ بسيطةٍ وبعدها سأرحل، وصدّقيني لن أتركَكِ هذه المرّة، وبعد أن أنتهي من هذا الوضع سأحكي لك عن تفاصيل الأحداث التي جرت معي.

قالت لي مستفسرةً:

- كيف استطعتَ الهرب من الشرطة بهذه السهولة؟

قلت بعد أن جلست على طرف السرير أحاول ترتيب أفكاري:

- إن الحظّ قد ابتسم لي بعد لحظاتٍ من اليأس، النور

في آخر النفق هذا ما رأيته يتجلّى أمامي بوضوح، فلم أتردّد ولا للحظة واستغلّيت الفرصة المُتاحة أمامي وهربت بهدوءٍ منهم، وسطَ اندهاشي لما آلت إليه الظروف، إن الحظّ سحبني من يدي وألقى بي خارج أسوار ذلك المخفر، فأنا لم أخطّط لهذا كلّه.

قاطعَتني قائلةً:

- حتى هذه اللّحظة لم أفهم شيئًا.

قلتُ لها موضّحًا:

- بعد أن تمّ إلقاء القبض عليّ في شقتي التي كنت استأجرها وهي قريبة من منطقتكم، تمّ تحويلي إلى مخفر الشرطة القاطن في منطقة القرين، وهو إجراءٌ روتينيٌ. الذي أذكره أنّني كنت نائمًا في شقّتي الصغيرة، ولم أشعر إلّا ورجال الشرطة يقتحمون عليّ البيت ويعتقلونني، ولم أُبدِ أي مقاومة، أذكر أنّ أحد أفراد الشرطة قال لي:

- هذا المجرم الذي جعل البلاد كلّها تقف على قدمٍ واحدةٍ، إنّه مجرّد صعلوكٍ، ستنال جزاءَك الرادع على أفعالك المتوحّشة.

بعدها تمّ اقتيادي للمخفر، حقّقوا معي لأكثر من عشر ساعات، ساعات طويلة لم أذق بها طعم النوم أو الراحة، كان المحقّقون يتناوبون عليّ واحدًا تلو الآخر، يضعون أمامي العديد من صور النساء، ويطلبون منّي تذكُّر حوادث لأوّل مرّةٍ أسمع بها، ولم يبخلوا عليّ ببعضٍ من العنف، لقد أخذت

جرعات مختلفة الألوان من قِبَل كفوفِهم.

قاطعَتني مجدّدًا وقالت:

- وما هي التُّهم التي نسبوها إليك؟

قلت لها:

- كلُّها جرائم قتلٍ، الذي فهمتُه منهم أنّني قتلت تسعةً من الأشخاص في أوقاتٍ مُتفرّقةٍ.

قالت لي بحذرٍ وتوجُّسٍ:

- تقصد جرائم القتل التي حصلت للنساء في العمانية أشهر الفائتة، والتي ملأت أخبارها الصحف ومواقع التواصل الاجتماعي؟

قلت لها:

- نعم هذا ما أقصده.

عمّ الصّمت المكان، ورأيت أنّ جسدها بدأ بالارتعاش بشكلٍ ملحوظٍ، لأتجاهل هذا وأكمل حديثي:

- بعدها سمعت الضابط يقول لأحد أفراد الشرطة، أن يتمّ تشديد الحراسة عليّ، وترحيلي قبل ساعة من العاصفة للنيابة العامّة، فردّ عليه رجل الأمن وقال له إنّ الصحافة ووسائل الإعلام يتجمهرون خارج القسم أمام البوابة الرئيسة، وهذا الأمر سيربكنا كثيرًا، وربما يوجد بعضٌ من أهالي الضحايا، وهذا أمرٌ غير مُستبعَد.

ليردّ عليه الضابط: أُطلب من السيارة المصفّحة التي تنقل المتهم، أن تتوجّه للبوابة الخلفية، وتنقله بهدوء بعيدًا عن وسائل الإعلام المتطفّلة وعدسات الصحافة، كنت وقتها مُستسلمًا، بعد أن تمّ اقتيادي من قِبَل رجلَين من الشرطة، اللذان لازماني وسارا معي جنبًا إلى جنبٍ، وما إن وصلنا للساحة الخلفية للقسم وبالتحديد عند السيارة المصفّحة قام أحدُهم بفتح السلاسل التي كانت تكبّل قدميّ، بينما الثاني كان يتحدّث مع السائق، وقبل أن يفتح الأصفاد التي كانت تُكبّل يديّ، ومن دون سابق إنذارٍ هبّت العاصفة الرّمليّة علينا، الغبار قد ملأ أجوافنا من الداخل، ودخل بأعيننا، في البداية لم أكن أرَ أمامي أي شيء.

سادت حالةٌ من الفوضى بالمكان، لم نعد نرى بعضنا البعض، علمًا أن الأجواء كانت صافيةً وهادئةً قبل كلّ هذا، كانت الرمال الصغيرة تتدفّق بعنفوان كأنها سحب من الجراد، لم أعد أرى الشرطي الذي كان بجانبي، ودرتُ بجسدي بالمكان دون أي حراسة، بعد أن بدأت أرى قليلًا، وأنا أتراجع للوراء.

هنا فطنت لنفسي وقلت هذه فرصةٌ تاريخيّةٌ للهروب، ما أتذكّره أنّ البوّابة كانت قريبةً منّي، ركضت بسرعة حتى وصلت للسور، وقتها كنت أسمع الشرطة التي قد ضاعت ملامحهم وسط هذه العاصفة الرملية الكثيفة، يصرخون بأعلى أصواتهم منهم من كان يردّد المُتّهم طليقٌ، والآخر يطلب الهدوء، لم أكترث بهذا كله، كان أنفي يتحسّس الحُرّيّة.

إلى أن وصلت للبوابة ثم أطلقت لقدميّ العَنان، ورحتُ

أركض بسرعةٍ لا أدري لأي مكانٍ أسير، لأجد نفسي ما بين المنازل التي هي الأخرى كانت هادئةً، بعد أن احتمى الجميع داخلها؛ بسبب هذه العاصفة غير المتوقعة، وبمسافةٍ غير بعيدة، وجدت نفسي أمام منزلكم، بعدما رأيت أنّ الباب كان مواربًا، دخلت أحاول حماية نفسي من هذه العاصفة، لأدخل مباشرةً إلى مرآبكم، وجدت سيارة قديمةً مركونةً، في البداية حاولت أن أدخل للبيت، ثمّ بعد ذلك فكّرت أنّ هذه الفكرة غير ملائمة.

تحسّست الأبواب متأمّلًا أن يكون أحدها مفتوحًا، ومن أوّل محاولة فُتِحَ الباب، ثم قفزت للداخل وأغلقته عليّ، اختبأت في المقعد الخلفي، محاولًا أن أكسب الكثير من الوقت، فالشرطة لن تظنّ أنّني سأختبئ في بيتٍ قريبٍ من مركزها، تكوّرت في مكاني خشيةَ أن يراني أو أُثير انتباه أحدٍ، وبنفس الوقت كنت أتذوّق طعم الحرية ممزوجًا ببعض الغبار، العاصفة هي من كانت سببًا رئيسيًا في هروبي.

صمتُ لحظتها لأجدها تقول:

- هذا يعني أنك كنت طوال الوقت مختبئًا بالسيارة.

أجبتها بعد أن ارتشفتُ رشفةً من كوب الماء:

- ليس طوال الوقت بالتحديد، على ما أعتقد بقيت مدّة خمس ساعات، وما جعلني أتخذ قرار الخروج هو شعوري بالعطش والجوع، بينما السبب الأكثر أهمّيّة هو عندما سمعت تلك المحادثة التي دارت بينك وبين رجال الشرطة، بعد

طرقهم بابكم يريدون التحقُّق والتحذير من احتماليّة وجودي

عندكم، علمت وقتها أنّك تعيشين بهذا المكان مع والدتك فقط، وقلت في نفسي ما هذا الحظ الذي انتبه لوجودي فجأة، فالبيت ليس مكتظًّا بالأفراد، سأختبئ به أطول فترةٍ ممكنةٍ، إلى أن تيأس الشرطة في البحث عني في المنطقة، ليتسنّى لي بعدها الهروب لمكانٍ بعيدٍ.

قالت لي:

- ماذا حدث بعد ذلك؟

أجبتها:

بعد رحيل رجال الأمن بساعة خرجت من السيارة، وبدأت أتفحّص الأبواب الخارجيّة والشبابيك، كنت أريد إيجاد أي مدخل لمسكنكم، والتوجُّه للسطح، فأنا على علمٍ أنّ أغلب أسطح منازلنا مهملةٌ وبالكاد نزوره، وهو مكانٌ مثاليٌ للاختباء، ناهيكِ عن هذه الأجواء والتي من المستحيل أن تجعلك تقرّرين الصعود.

وبالفعل استطعت بعد محاولاتٍ عديدةٍ أن أدخل المنزل من خلال أحد النوافذ، وبالتحديد من نافذة المطبخ التي كانت مفتوحةً، رغم ضيقها، لكن بسبب جسدي النحيل استطعت أن أدخل بسلاسةٍ من دون أن أترك أي أثرٍ خلفي.

كنت وقتها أتضوّر جوعًا وعطشًا، لم أُعطِ نفسي أي فرصة للبحث بالمطبخ، توجّهت مباشرةً للثّلاجة، التي كانت تحمل

بداخلها نصف بطّيخةٍ، وبعضًا من الأجبان، وأخذت بعض أكياس الخبز، وثلاثة قنّيناتٍ من الماء، وبخطواتٍ بطيئةٍ وحذرةٍ توجّهتُ للسطح، فبيتكم من بيوت ذوي الدخل المحدود التي تتشابه في مخطّطاتها مع بعضها البعض، ولم أخطئ أبدًا، وصلت للباب الذي يؤدّي إلى السطح.

وبدأت أبحث لي عن مكان آوي إليه، وكانت هناك غرفةٌ شبه مُهملةٍ، وعلى ما أعتقد أنّها كانت لخادمةٍ في السابق؛ بسبب الأثاث القديم الذي توزّع بداخلها بطريقةٍ غير مُنظّمةٍ، والغبار الذي كان يكسوها بالكامل، لم أهتمّ كثيرًا لذلك.

وضعت مأكولاتي وقنيناتِ الماء، على الطاولة ثم توجّهت للسور، وبدأت أراقب الوضع من أعلى، كان كلُّ شيءٍ عاديًا جدًا، هدوءٌ مخيفٌ يعطيك مؤشّراتٍ أنّ خلفه شيئًا مرعبًا، دخلت للغرفة مرّة أخرى وقمت بغسل وجهي الذي كان مملوءًا بالتراب الكثيف، وبعدها شربت قنينةً كاملةً من الماء، أنعشت شراييني الجامدة، ثم بدأت بالأكل دون توقُّفٍ، حتى شعرت بالاكتفاء.

حينها كنتُ متعبًا كثيرًا، لا أفكّر سوى بالنوم، فأنا لم يغمض لي جفنٌ وجسدي منهكٌ منذ أكثر من أربعةٍ وعشرين ساعة؛ بسبب التّحقيقات الكثيرة التي أُجريت معي، وجلسات الضرب، أخذت بعض الوسائد ثم اختبأت تحت أحد الكراسي الإسفنجية الكبيرة، تحسُّبًا لأي طارئ من الممكن أن يحدث، ومن دون شعور غصتُ بنومٍ عميقٍ لم أستيقظ منه إلا بعد أن سمعت صوت سيارات الشرطة التي كانت قريبةً جدًا من

مسكنكم، هنا قلت لنفسي:

- الملعونون.. كيف اكتشفوا مكاني بهذه السرعة.!!

الرائد وليد:

5

ثمانية وأربعون ساعة قد مرّت، ولا أخبار جديدةً حول المجرم الهارب فواز، أين اختفى ذلك الرجل؟ أكاد أُجنّ، كنت وقتها جالسًا في مكتبي أطلع على ملفّ قضايا جرائم القتل الذي قام بارتكابها، أُحاول تحليل عقليّته ومنهجه الإجرامي، وتتبع خطوات تسلسله في القتل، لكي أتنبّأ بمكانه الآن، بعد ليلةٍ مرهقةٍ كثيرًا، خضت من خلالها العديد من الطلعات الاستكشافية، معدّل نومي لم يتجاوز الساعتين بالغرفة المخصّصة لي بمثل هذه المواقف.

وأنا على هذا الحال سمعت تحرّكات أقدامٍ كثيرةً عشوائيةً، وأصواتًا متضاربة قادمة من الخارج، ثوانٍ حتى انتبهت للباب يُفتح بطريقة همجية من غير استئذان، كنت متأهّبًا لأصرخ على هذا التصرف الذي لا ينمُّ عن الاحترام، وقبل أن أتفوّه بأي كلمة تفاجأت بدخول العميد بدر دون سابق إنذارٍ، وقفت سريعًا وأدّيت له التحية العسكرية، ثمّ تحرّكت من مكاني ليجلس هو به، وكان على وجهه ملامح عدم الراحة. دون أي مقدّمات قال لي بصرامة:

- ما هذه الفوضى التي تحدث في مخفرك يا رائد وليد؟

شعرت ببعض التوتر بعدما سمعت تلك الجملة، لأجيبه بعدها بهدوء محاولًا إخفاء حالة الارتباك:

- كل ما حدث يا سيدي كان خارج نطاق توقُّعاتنا، رغم أنّنا كنّا في كامل استعداداتنا وجهوزيّتنا لنقل المجرم، لكنّ الظروف الجوية المفاجئة هي من ساعدت المجرم على الهروب بهذا الشكل.

وقبل الانتهاء من جملتي كان ينظر للأوراق التي كانت أمامه على الطاولة، ليقول:

- أنت تعلم يا وليد أنّ الصدف والمفاجآت ليس لها أي معنى في قاموس عملنا، ولابد أن نكون مستعدّين جيدًا لأي ظروفٍ طارئةٍ، وتعاملكم مع هذا المجرم الخطير كان بغاية السوء، ما سهّل له عملية هروبه.

لقد وضعني بموقف أكثر حرجًا، أغلق عليّ جميع المبرّرات، قلت له محاولًا أن أعيد الأمور لنصابها:

- صدقني يا سيدي منذ اللحظات الأولى التي هرب بها، ونحن لم نتأخّر ولو للحظة في البحث عنه، وقمنا بجميع الإجراءات الاحترازية والبروتوكولات المُتّبعة والمُعتادة بمثل هذه الظروف، وأنت ترى أن المخفر حاليا بحالة استنفارٍ قصوى، ولم ندّخر أي جهدٍ في هذا الشأن، كلُّ ما أريده من سيادتكم ومن قِبَل المسؤولين بعضًا من الوقت، وبعدها سنقوم بالقبض عليه، وإعادته خلف القضبان.

قال لي بغضبٍ وحدّةٍ واضحين:

- لا يهمني ما تقول، الشرطة في عملها تحتاج لفعل، والكلام وحده غير مُجدٍ، وأنت تعلم أن هذا المجرم خطيرٌ جدًا، ومن

الممكن أن يعرض حياة الناس للخطر، بقيامه بجريمةٍ جديدةٍ، فلم يعد لديه أي شيء ليخسره، فكل الدلائل والبراهين ضده.

أخذت نفسًا عميقًا محاولًا تخفيف الضغط الكبير الذي أعيشه الآن:

- لن ندّخر أي جهد، سنوسّع عملية البحث بشكلٍ كبيرٍ، وطلبنا من بعض وسائل الإعلام نشر صورته، حتى يساعدونا في عملية القبض عليه، ومن المرجح أنه يختبئ في مكانٍ ما، ولن يطول هذا الأمر، وسنقبض عليه، أنا واثق مما أقول.

نهض العميد بدر من مكانه وقال:

- لا تظنّ أنّك الوحيد الذي يواجه الضغوطات جراء ما نشأ، فأنا الآن تحت وطأة ضغط كبار المسؤولين في وزارة الداخلية؛ بسبب هذه القضية التي أصبحت قضية رأيٍ عامٍّ، والمجرم عاث بالأرض فسادًا، والجميع يريد أن يضع حدًّا لجرائمه هذه، أمامك يومان فقط، لكي تقبض على هذا المجرم السافل، إذا لم تنجح في المهمة سنقوم بتسليم القضية لضباط آخرين غيرك، وسّع نطاق عملك وتعاون مع جميع المؤسّسات والهيئات التي ترى أنّها قادرةٌ على إضافة شيء لمجريات قضية.

خرج من مكتبي دون حتى أن يلقي السلام، جلست على الكرسي مرّةً أخرى، كلام العميد وضعني في موقف لا أُحسد عليه، فأنا لم أواجه مشكلة في عملي من قبل كهذه، أحدّق بالملفّات المنتشرة على سطح المكتب، متفكّرًا بجميع ما

يجري، ومن أين أبدأ، يجب علي مراجعة ملفّ التحقيقات التي أُجريت معه، ومطابقتها مع سلسلة جرائمه؛ لأستنبط منها طريقة تفكيره، فهذا سيوفّر علينا مجهودَ البحث عنه بطريقة عشوائيّةٍ، بالرغم من إحساسي أنّه لم يغادر منطقتَنا، وبالتأكيد لا يزال مختبئًا بأحد المنازل القريبة من مركز الشرطة.

هنا سمعت طرقًا على باب المكتب، أذنت للطارق بالدخول لأجد الملازم حمد يدخل بهدوء، ليتلو عليّ آخر المستجدّات التي حصلت:

- لقد راسلنا جميع المستشفيات والفنادق وعمّمنا مواصفات هذا المجرم الهارب على كلّ المؤسّسات والهيئات وجميع المنافذ البحرية والجوية والبرية، ولا تزال عمليّة البحث ساريةً، والتوقّعات كلها تشير أنّ المجرم الهارب، لم يخرج من المنطقة، وعلى المتوقّع أنّه يختبئ في أحد المنازل القريبة.

نظرت له وقلت:

- إذن نحن متّفقان بالتّفكير.

رمقني بنظراتٍ مستفهمةٍ وقال:

- آسف يا سيدي فأنا لم أفهم ما تعنيه بكلمة متّفقَين بالتّفكير.

أجبته وعلامات اليأس على وجهي:

- الذي أقصده من كلامي، بأن حدسي ينبئوني أنّه لا يزال

موجودًا في محيطنا ولم يبتعد، وأنت أكّدت لي ذلك، لكن ما هي الخطوة القادمة؟ من أين سنبدأ بالبحث؟ فلقد تحقّقنا من جميع المنازل في المنطقة ولم نـجد له أثرًا إلى الآن، وأعتقد أنك سمعت كلام العميد بدر، وضغطه الكبير عليّ، أنا حاليًا في موقفٍ صعبٍ.

قال لي محاولًا تهدأة الوضع:

- هذه الإجراءات المتبعة بمثل هذه الحالات، وكل ما نحتاجه الإذن من النيابة العامة، حتى نستطيع تفتيش البيوت التي تدور حولها الشُبهات، خاصّة أن فرضيّة اختبائه بأحدها متوقّعة، ولن نستبعد أيًا من الاحتمالات.

قلت له بعد أن سمعت جملته تلك:

- حسنًا.. أمامك ساعتان من الآن، تواصل مع جميع الأفراد واطلب منهم حصر البيوت التي من الممكن أن يكون مختبئًا بها، وإذا شككتم بأي منزل، من دون أي تردُدٍ اطلبوا تفتيشه، وسأتواصل حالًا مع المسؤولين لطلب إذن التفتيش ليصبح الأمر قانونيًا، أمامنا الآن فقط 48 ساعة غير ذلك ستسحب القضية من أيدينا، أحتاج منكم التعاون والفطنة، الوضع أصبح حسّاسًا جدًا.

هزّ الملازم {حمد} رأسه وقال:

- حاضر سيدي.. سنقوم بما هو مطلوبٌ منّا على أكمل وجه، وصدقني الجميع على قدرٍ من المسؤولية.

صمت قليلًا ثم قال لي:

- سيدي أنت تحتاج للراحة، لمَ لا تذهب لبيتك حتى ترتاح قليلًا؟

نظرت له وقلت:

- هل ترى أني بوضع يجعلني أفكر بالراحة؟

قال لي:

- نعم.. فأنت موجودٌ هنا منذ يومان ولم تذهب لدارك، سأبقى أنا مكانك اذهب وحاول أن ترتاح على الأقل بضع ساعات، وسأقوم بما تريده منّي، لن تستطيع أداء مهماتك، وأنت في قمّة تعبك الجسدي.

بهذه اللحظة رنّ هاتفي وكان المتّصل على الطرف الآخر زوجتي علياء، وضعت الهاتف على الصامت، لم أجب عن اتصالها..

قال لي الضابط حمد بعدما شعر أنّ المتّصل أحد أفراد عائلتي:

- لا تقلق يا سيدي سأدير العملية بالطريقة التي تريدها، كل ما أطلبه منك الراحة عدّة ساعات، وإذا طرأ أي شيءٍ جديدٍ سأتواصل معك عبر الهاتف، الوضع يحتاج منك التركيز، وهذا الأمر لن يكتمل وأنتَ متعبٌ بهذا الشكل.

لم أجبه لكنّه محقٌّ، فأنا كنت بأمس الحاجة لتلك الراحة، التي كان يتحدّث عنها.

الرائد وليد:

6

- كان يومًا مرهِقًا يا علياء

هذا ما قلتُه لزوجتي بعد أن قمت بخلع ملابسي، بينما علياء كانت تنظر لي بطريقة حادّةٍ وهي تحرّك قدمها بحركةٍ سريعةٍ مستفزّةٍ، ولم تكترث لأي كلمةٍ قلتُها، انتبهت لنظراتها الغريبة وقلت:

- أعلم جيدًا أنّني مقصّرٌ معكِ كثيرًا هذه الفترة، لا تلوميني فالوضع الذي نمرُّ به صعبٌ ولا نُحسد عليه، مجرمٌ هاربٌ، لا.. إنه ليس مجرّد مجرمٍ عاديٍّ، بل آلةٌ مبرمجةٌ على القتل فقط، جعل البلاد تعيش خلال السنة الماضية حالةً من الجزع، كونه قام بقتل ثمانية نساء بطرقٍ بشعةٍ، للأسف تنفّسنا الصعداء بعد أن قبضنا عليه، وتبًا للظروف التي جعلته يفلت من أيدينا مرّةً أخرى بطريقةٍ غير متوقّعةٍ وغريبةٍ.

قاطعَتني علياء وقالت:

- كلُّ هذا لا يهمُّني، الذي أريده منك بهذا الوقت أن تعود لرشدك وتهتمّ بعائلتك وأولادك، ولا أدري إذا كانت مسألة هذا الهارب مجرّد حجّةٍ حتى تستطيع الغياب عنّا لفترةٍ أطول، ولا أعلم لأي مكانٍ تذهب ومع من تقضي وقتك؟ بحجّة مجرمٍ هاربٍ.

أخذتْ نفسًا عميقًا ثم بعد ذلك تأفّفتْ وقلتْ:

- عدنا مرة أخرى للأسطوانة نفسها، يا امرأة كيف لي الذهاب والجلوس مع غيرك في وقت ساعات عملي؟ أنتِ لا تُدركين حجم المشكلة التي أقع بها حاليًا، أقول لك أنّ القِسم والوزارة بحالة استنفارٍ كبيرةٍ منذ ليلة الهروب، والجميع يبحث عن هذا القاتل، والمسؤولون يحمّلونني مسؤولية ما حدث، ويضغطون عليّ لإيجاده والقبض عليه مرّةً أخرى، وربّما أُحال للتّحقيق والمُحاكمة العسكرية جرّاء ذلك.

قالت بعد أن تذكّرت شيء:

- للتّوّ قلت إنكم قد قبضتم عليه، وبعدها تقول هرب، لا أدري كيف لمجرمٍ مثل هذا أن يهرب بكلّ هذه السهولة، مع أي أفراد شرطة تتعامل، هل الذي يعملون معك عميٌ؟

قلت لها وأنا أجزُّ على أسناني بغضبٍ ونفاذِ صبرٍ:

- مشكلتك أنّك لا تُتابعين الأخبار، وجلُّ اهتماماتك في الوقت الحالي مقتصرةٌ على التّسكّع في الأسواق والخروج مع صديقاتك، لو تابعتِ أخبار الصحف اليوم لفهمتِ حجم المشكلة التي نحن بها الآن، المصيبة أن حياة الناس كلّها مُعرّضةٌ للخطر، وأنا المسؤول أمام الجميع.

أجابتني بحنقٍ:

- وحتى مسألة خروجي مع صديقاتي أصبحت ثقيلة عليك لهذه الدرجة، هنّ مُتنفّسي الوحيد بهذا الوقت كونك تغيب فترات طويلة، تذكر متى خرجنا آخر مرة لتناول وجبة طعامٍ أو للتنزُّه؟! أعلم أنّك لا تتذكّر، لأنّنا لسنا من أولويّاتك.

وضعت يدي على رأسي وقلت:

- أتعلمين ما هي مشكلتك؟ ليست إهمالي وعدم اهتمامي بك وبالأولاد، إنما مشكلتك باعتقادك أنّني على علاقةٍ بغيرك، غيرتُك يا علياء عمياء، لا تجعلك ترين بعين العقل، أو أنها ترى من زاويةٍ محدودةٍ ضيقةٍ جدًا، رغم أنك لا تملكين أيّ دليلٍ عليّ، ولا توجد أي إشارة على قيامي بخيانتك، سأعطيك حلًا حتى تتأكدي بنفسك، إذا ذهبت للعمل ما عليك سوى التوجه إليه لتريني غارقًا مع الرجال والأوراق والاتصالات، التي لا حصر لها.

قالت علياء لي بغير اكتراث:

- في كلّ مرّةٍ تقلب دفّة الحديث لصالحك، وتحاول أن تظهرني بمظهر من أخطأ في حقّكَ، أي زوجة في العالم تتمنّى أن تحصل على جزءٍ من وقت واهتمام زوجِها، أنت يا وليد لا تفكر سوى بعملك وتهتمُّ به كثيرًا على حسابنا أنا وأبناؤك، حتى بدأت تلك الأفكار التي تراها تقفز برأسي، هذا أمرٌ طبيعيٌ جدًا، فالزوجة تريد بكل ما أوتيَت من قوّةٍ أن تُحافظ على زوجها، هذا حقٌّ مشروعٌ لي.

جلست على طرف السرير وقلت:

- هذا عملي يا علياء ولابد أن أقوم به على أكمل وجه، المجال الذي أعمل به حسّاس جدًا، وأي خطأٍ أو تقصيرٍ يكلّفنا الكثير ويُعرّض حياة البشر للخطر، وكما ترين نحن الآن في تعقيداتٍ لا نُحسد عليها، أتمنّى أن تقدّري الوضع الذي أمرُّ به.

قاطعتني مرّةً أخرى بوقاحة وقالت:

- حتى هذه اللحظة لم أعرف كيف لمجرمٍ خطيرٍ مثل ما تقول أن يهرب منكم بهذه السهولة، وسط إجراءاتكم المشددة بمثل هذه الظروف، هذه القصة لا تدخل عقلي.

أجبتها باستياء:

- للأسف الشديد الظروف كانت كلها بجانبه، أتذكرين الغبار الغريب الذي اجتاح البلاد، هو الغطاء الذي جعله يهرب منّا بكل سهولة، ولا نعرف أين ذهب، لم نكن مُستعدّين جيدًا لهذا الظرف المباغت بنفس الوقت!!

مطّت علياء شفتيها وقالت:

- هل الغبار لديه قدرة على كسر القضبان الخاصة بكم في السجون وجعله يهرب منكم؟ كلامُك غير مقنعٍ يا وليد.

تأففت من أسلوبها المُستفزّ وقلت:

- قلت لك من البداية أنت لا تدركين حجم المصيبة الواقعين بها، الهارب من الممكن أن يقوم بأيّ جريمةٍ أخرى، إضافةً إلى أنه يملك ذكاءً كبيرًا، وهو ما جعلنا حتى الآن لا نستطع القبض عليه مجدّدًا، نحن في مأزق حقيقي، وإذا لم تصدقيني اذهبي لأقرب بقّالة واقرئي الصحف، أو ادخلي على مواقع التواصل الاجتماعي وابحثي عن اسم الهارب.

قالت علياء مرة أخرى:

- كل هذا لا يهمني، الذي أريده الآن أن ارتاح من الأفكار التي تسكن عقلي ولا تبارحه، وأنتَ تعود كما كنت بالسابق.

وقفت بغضب وقلت لها بحزم:

- اسمعيني جيدًا.. انا ومن معي في قسم الشرطة معرضون للمحاسبة القاسية بسبب ما حصل، وأتمنّى منك أن تفهمي وتقدّري الوضع الذي أنا به الآن، وحتى أكون معك واقعيًا أكثر، من الممكن أن أغيب لفتراتٍ طويلةٍ في الأيام المُقبلة؛ لأنّنا في حالة الاستنفار القصوى التي لا مجال فيها للالتفات لمثل هذه الأمور التافهة التي تتحدّثين عنها، وعودتي للمنزل ما هي إلا لساعات قليلة للراحة بعد يومين مرهقين.

قالت علياء بسخرية:

- وهل مطالباتي لك بواجباتك ناحيتي أصبحت تافهة!، لا أدري كيف تفكّرون يا معشر الرجال، لماذا لا تشعرون بنا؟ وكم نحن بحاجة لوجودكم معنا، وأنتم تنظرون للموضوع بتفاهة وفوقية.

هززت رأسي بيأس وقلت:

- لا فائدة من الكلام معك، دائمًا تفكيرك سطحيٌ وضيّقٌ، وتفتقرين للحكمة، أرجوك أعتقيني الآن، فليس أمامي سوى عدّةُ ساعات أحتاج أن أرتاح بها، وبعدها سأغادر لمواجهة عملي المرهق ولا أعلم ما ستؤول إليه نتائجه.

ثم بعد ذلك تركتها وأخذت المنديل وتوجّهت ناحية الحمّام

غير مهتمٍّ لكلماتها؛ لأنها كانت تغَمغِم بكلماتٍ غير مفهومة وعدم رضًا، وكل ما سمعته منها كان:

- أعلم جيدا أن هناك شخصًا آخر بحياتك وتريد أن تخبئ هذا الأمر تحت غطاء تلك الظروف التي تقول عنها قاهرة، أنت لا تفرّق ما بين عملك وبيني، أصبحت بالنسبة لك مجرّد زوجةٍ عليها الحق أن تقوم بواجباتها فقط، دون أن تتفهّم حقوقي عليك.

فواز:
7

كانت فجر تنظر إليّ بريبةٍ مراقبةً كلّ حركاتي، بعدما قصصت عليها ما حدث معي خلال اليومين الماضين حتى وصولي هنا، كسرت حالة الصمت وقالت لي:

- لا تصمت، أكمل ما حدث بعد ذلك.

أكملت حديثي امتثالًا لطلبها:

- حينما سمعت صوت سيارات الشرطة، شعرت للحظة أنني قد وقعت بالفخ، فاختبأت على الفور داخل الدولاب الكبير، كنت متوقعًا دخول الشرطة للمكان والقبض علي بأي لحظة، وما حدث لاحقًا جعلني أرجع مرة أخرى لوضع الاطمئنان، مرّت أكثر من نصف ساعة ولم يأتِ أحد، قلت في نفسي ما الذي يحدث بالخارج؟ تجرّأت وقتها وخرجت أريد أن أستطلع ما الأمر.

توجّهت للسّور ثمّ مددتُ رأسي ببطءٍ لألمح سيارة إسعاف، وأنت كنت واقفة بجانب امرأة لم يتبيّن لي من هي، كانوا يحملونها على السرير المتحرك، رحلت سيارة الإسعاف، ثم بعد ذلك رأيتك تنطلقين خلفهم.

زفرت بارتياح بعدما كادت نباضات قلبي أن تتوقف هلعًا، شعرت بالراحة قليلًا، فلم تكن تلك سيارات الشرطة، ولم أكن أنا المقصود، عدت مرة ثانية لمكاني وبدأت أعيد ترتيب

هندامي، وقررت الدخول لأنني أصبحت متأكدًا أن لا أحد بداخله بهذا الوقت.

نزلت وبدأت البحث داخل الغرف، كان الطابق الذي يحتوي على حجر نومكم هادئ ولا يوجد به ما يثير الفضول، توجّهت لأول غرفة رأيتها أمامي التي كانت واضحة بأنها لوالدتك، بسبب الأجهزة الطبية، ورائحة الدواء التي كانت تفوح منها، وبعدها قمت بالبحث في الغرفة المجاورة لها، وأيقنت أنها لك بسبب الملابس النسائية التي رأيت بعضًا منها مرميّةً على السرير، وصورتك الكبيرة المعلقة على الجدار المقابلة للباب، التي جعلتني أقف وعلامات الدهشة والصدمة تأسراني، قمت بالتمعن بها أريد التأكد مما أراه، كنت أنظر لها وأقول هل هذه هي إسراء بالفعل؟ سرحت بها وبجمال تفاصليها، أخذتني معها لأسعد ذكرياتي معك يا إسراء.

كانت ساعاتٍ لطيفةً وفاتنةً تصاحبها ساعات أخرى من التوتر بسبب خوفي من إلقاء القبض عليّ، ولحظة لقائك تلك الآن هي بمثابة عودة الروح لي، لم أكن أتوقّع أنّني سأراكِ مرّةً ثانيةً بعد هذه السّنوات الطّويلة.

هذا ما حدث معي منذ لحظة هروبي حتى لحظة لقائي بك.

توقّفت عن الحديث لتعود مرة أخرى وتسألني:

- ما الذي تريده مني يا فواز؟ أنت بنظر العدالة قاتلٌ طليقٌ، لا تتصوّر بلحظة واحدة أنّني سأكون آمنةً بجانبكَ.

قلت لها بكلّ لهفة:

- مستعدّ أن أؤذي الناس جميعًا ولا أمسّك بضرر، لن أكرر خطئي مرتين، أنت بالنسبة لي الحياة كلها.

وما إن انتهيت من جملتي حتى سمعت رنين هاتفها، علما أنّنا في الساعات الأولى من الفجر، وهذا الاتصال ورد بوقتٍ لم أتوقّعه.

كان المحمول بعيدًا عنها نوعًا ما، على الدّولاب الصغير الذي بجانب السّرير من الناحية الأخرى، فطنتُ له لحظتَها، ثم اقتربت منه، لأرى المتّصل جابر، لم أعرف من هذا المدعوّ جابر، ثم نظرت لها وقلت:

- لا اتصالات أو رسائل مع أي أحد بالخارج، أمهليني يومين فقط، وبعدها سأتدبّر أمري وأرى طريقةً مناسبةً للاختباء.

ثم أخذت الهاتف من على الطاولة الصغيرة، والذي لا يزال يرن، نظرت له مرة أخرى، لا يزال جابر يُلحّ بالاتصال، قلت لها بعد أن دفعني فضولي للسؤال:

- من هذا جابر الذي يتصل بهذا الوقت؟

شعرت لثوانٍ أن حالة الارتباك بانت على ملامحها، وبعدها قالت:

- إنّه.. إنّه.. ابن خالتي.. على ما أعتقد أنه يتّصل للاطمئنان على صحة والدتي، كما تعرف هي لا تزال في المستشفى تحت الملاحظة.

لم تكن إجابتها مقنعة بالنسبة لي، وقلت:

- هل ترين أن الوقت مناسب لهذا الاتصال؟

سكتت لثوانٍ وأكملت حديثها وقالت:

- جابر من الأشخاص الذين يستيقظون مبكّرًا، وأعتقد أنه بالفعل يريد معرفة ما آل إليه وضع والدتي الصّحّي.

وبعد صمتٍ لم يدم طويلًا قالت لي:

- هل ستحبسني بهذا المكان وتقطعني عن العالَم، إلى أن تجد لك مخرجًا من مأزقك؟ هل تتوقع أن هذا الوضع سيبدو طبيعيًا؟

نهضت من مكاني وقمت بالسير داخل الغرفة وقلت:

- لقد افترقنا لمدة طويلة يا إسراء، وهذا ما يجعلني حتى هذه اللحظة لا أثق بك، لا أستطيع نسيان تلك الأحداث التي على أثرها انقلبت حياتي كلها رأسًا على عقب.

قالت لي:

- تصرفك هذا لن يكون بصالحك، إن لدي معارف وأصدقاء، ولا تنسى أن والدتي بالمستشفى، كل هذا من الممكن أن يكشف مكانك لهم.

ابتسمت بخبثٍ وقلت لها:

- كل هذا يعتمد عليكِ أنتِ، وتأكدي أنني لا أريد إيذائك، أحتاج فقط أن أعيد ثقتي القديمة بك.

غمغمت بصوت منخفض بعدم رضا، هنا قلت لها:

- أعلم أن هذا الوضع لن يعجبك، لكن ليس لدي أي حيلة أخرى، أنا أحتاج لبعض الوقت فقط.

تركتها وخرجت حتى لا أشعر بضعفي أمامها، وأغلقت الباب خلفي بالمفتاح، جلست على الكراسي في الصالة الخارجية، أتذكّر اللحظات الجميلة التي قضيتها معها سابقًا، حتى تلك الحادثة اللّعينة التي جعلَتني أتغيّر، لأصرخ بعدها بصوت عالٍ، كذئبٍ جريحٍ.

فجر:
8

كان رنين هاتفي يتزايد على غير العادة، جابر الغبي لا يزال يواصل اتصالاته عليّ بشكلٍ كبيرٍ، وعيناي تراقب كل شيءٍ بحذرٍ وخوفٍ، فهذا المعتوه الذي بجانبي من الممكن في أي لحظة أن ينقضّ عليّ ويقتلني كما فعل في وقت سابق، على ما أعتقد أنه قتل مجموعة من النساء.

كنت قد قرأت عبر مواقع التواصل الاجتماعي، عن هذا المجرم الذي قام بقتل تسعة ضحايا خلال أشهر، وعلى ما أظن أنّه متمرّس ودقيق في قتله، وأطلقت عليه الصحافة لقب قاتل القلوب، فهو كما وصفت الصحف يقوم بقتل الضحية وبعدها ينتزع قلبها، وعندما تأتي الشرطة لا تجد سوى الضحية مرمية بمكانها، ومن ناحية الصدر ترى شقا كبيرا، ولا ترى أي أثر للقلب، فأطلقت وسائل التواصل الاجتماعي ذلك المسمى عليه، وبعضهم لقبه بقاتل الحسناوات وغيرها من الألقاب التي لا تعد ولا تحصى.

كنت أتذكر أن جميع الناس بدأت تعود لمنازلها مبكرًا وتحديدًا النساء، وتحكم إغلاق جميع الأبواب والنوافذ، خوفًا من دخول هذا المعتوه، أو مصادفته لهنّ في الشوارع أو بأي مكان آخر، حالةٌ من التوتر والارتباك دبّت بين الناس بتلك الفترة.

حتى أنّ وزارة الداخلية بدأت في إصدار تعاميم كثيرةً

عنه، لتبين للناس أنّها مهتمّة كثيرًا بالموضوع، وتريد بأي وسيلة كانت إلقاء القبض عليه، وبأي ثمن، وطلبت من الجميع إبلاغهم بأي معلومات خاصة عن هذا المجرم حتى لو كانت بسيطة.

وعلى ما أعتقد أنا الوحيدة من بين الجميع التي لم تهتم لهذا المعتوه التي كانت هوايته قتل النساء وانتزاع قلوبهم؛ بسبب ما يحيط بي من مشاكل لا حصر لها.

لا يزال جابر يواصل اتصالاته اللعينة، وهذا المجرم يراقب هاتفي ويقول لي:

- هل أنت متأكدة أن جابر مجرّدُ قريبٍ لكِ؟

كنت أؤكّد له ذلك قائلة:

- جابر من النوع اللّحوح الذي لا ييأس بسرعة، وعلى ما أعتقد يظن أنّني لم أسمع اتصاله ظنا منه أنّني نائمة.

التفت للناحية الأخرى ثم ألقى نظره على صحيفةٍ كانت موضوعةً على الطاولة، وكان عنوانها الرئيسي (الضّحيّة العاشرة.. لقاتل القلوب)

أخذها بيده ثم نظر لي وقال:

- على ما أظنُّ أنّك تعتقدين بأنّك ستكونين الضّحيّة العاشرة.

ابتلعت ريقي بكل خوفٍ وقلت:

- هذا يعني أنتَ تؤكّد أنّك قاتل؟

نظر لي ببرود:

- كل من مات تحت يدي كان يستحقُّ القتل.

قلت له بجرأةٍ أكبر:

- وعلى أي أساس أطلقت عليهم الأحكام أنهم يستحقُّون الموت؟ هل هي وجهة نظرٍ أم شيءٌ آخر؟

قال بعد أن نهض والصحيفة بيده، وبيده الأخرى السكين.

- لا يستحقون الحياة؛ لأنّهم اتخذوا الخيانة سبيلًا لهم.

قلت له مستفسرةً:

- وكيف عرفتَ أنّهم خائنات؟

قال لي وهو يبتسم بمكرٍ:

- هل تعتقدين أنّني أقتل بشكلٍ عشوائيٍّ؟

نظرت له بذهول وقلت:

- يعني أنت من الذين يختارون ضحاياهم بشكل دقيق؟

هزّ رأسه وقال:

- بالتأكيد هذا ما أتّبعه، كلُّ ضحيّة لابد أن أقوم ببحث كامل وشامل عنها، حتى أصل بالنهاية لهم، وبعدها أقوم بقتلهم.

هنا انتبهت لشيءٍ مهمٍّ وقلت:

- ألن أكون على قائمة من تريد قتلهم؟، كونك لم تبحث أو ترى أنني أستحق القتل؛ لأنّني لست من الخائنات بنظرك.

عادت الابتسامة مرّةً أخرى لوجهه الشّاحب وقال:

- بالفعل محل ما تقولين، أنت لست من القائمة، كوني أعرفك منذ فترة طويلة، لكن الذي لا أعرفه هي حياتك الجديدة، من الممكن أن تكوني تزوّجتِ أو لك علاقة بشخصٍ ما، فما قمت به من قتل كان بسبب حبّي لكِ.

قلت له محاولةً إبعاد شكوكه ناحيتي:

- تأكّد أنّني لست من النوع الذي يخون أبدًا.

تقدّم إليّ ومدّ يده لرقبتي وقال:

- لمَ تكذبين يا إسراء.. لقد فعلتِها في وقت سابق وخنتِني، واليوم تردّدين جملتك تلك وتقولين إنك لست من النوع الذي يخون، لا تصدقي بأنني مازلت أبلهًا، أسير خلفَك بلا عقلٍ كما في السابق، اليوم كل شيءٍ قد تغيّر.

كان هذا المعتوه يضغط على رقبتي بشدّة، ثم تركها وتراجع للوراء وقال:

- لا أستطيع فعلها، قلبي لا يطاوعني أبدًا، يا حقيرة لا زلت حتى هذه اللحظة تسيطرين على مشاعري، أشعر وكأنّني أضعت شيئًا ثمينًا وها أنا الآن قد وجدته.

تحسست رقبتي أبتلع ريقي وأتنفّس بشدة، فكّرت قليلًا بالمعلومات القليلة التي قالها لي، وفهمت منه أن الشخص

الذي أمامي ما هو إلا إنسان مر بماضٍ سيءٍ صنع منه سفّاحًا آثمًا، وعليّ الآن معرفة ذلك الماضي حتى أعرف كيفيّة التّصرُّف معه وكيف سأهرب منه.

نظر لي بعد ذلك بعينين اغرورقتا بالدموع وقال:

- لن أتركك هذه المرة، حتى لو كلفني هذا الأمر حياتي، وسأقتل أي شخص يحاول أخذك مني مرة ثانية، في المرة الأولى قالوا إنك قد متّ، وبالفعل صدقَت ظنوني وأحاسيسي لم تكوني ميتةً، كل ما أرادوه فقط أن يبعدوني عنك بأي شكل من الأشكال.

تيقّنت وقتها بما لا يدعو للشك أن الشخص الذي أمامي، مريضٌ نفسيٌ بكل جدارةٍ واستحقاقٍ، ويجب عليّ احتواءه حتى أكسب وده وبعدها أفكّر بطريقةٍ ذكيّةٍ كي أفلت من قبضته.

رنّ الهاتف مجدّدًا، كان ذلك الغبي جابر لا يزال يتّصل عليّ، لا أعلم ماذا يريد بهذا الوقت، وطبعًا كانت نظرات فواز لي لا تزال تثير الشبهات، وهو يردّد مرّة أخرى بشكٍ يكاد يخرج من مقلتيه:

- هل أنتِ متأكدة أن جابر ابن خالتك فقط؟

الرائد وليد:

9

وقفت مع الشرطي أمام منزل بمنطقة صباح السالم، ذو بنيان ليس بقديم كثيرًا، ألوانه الخارجية الباهتة هي من جعلته يبدو بهذا الشكل، كانت ثواني حتى خرج لنا شاب بأوائل العشرينات من عمره، عرفنا عن أنفسنا وقلت له:

- معك الرائد وليد، وأحتاج منكم القليل من الوقت لسؤالكم بعض الأسئلة.

كان الولد نحيل الجسم أبيض البشرة حليق الشعر، تغيرت ملامحه عندما سمع اسمي وقال:

- أعلم جيدا أنكم هنا من أجل أخي فواز، وعلى ما أعتقد أنكم ألقيتم القبض عليه، ونحن لا نعلم عنه أي شيء بعدما انتقل للعيش وحده.

قال هنا الشرطي:

- بالفعل تم القبض عليه قبل يومين، لكنّه استطاع الهرب منّا، ونعلم جيدًا أن وضعكم الآن صعبٌ بسبب ما خلّفه فواز من سمعةٍ سيئةٍ لكم، وما نحتاجه بعض الدقائق وبعض المعلومات من والدك حتى نعرف كيف يفكر أخوك.

بعدها قاطعنا الشاب وقال:

- والدي مُتوفىّ، ونعيش بهذه الدار أنا ووالدتي وفواز الغبيّ

قبل مغادرته.

نظرت له بعد أن سمعتُ جملته وقلت:

- نريد منك أن تُساعدنا وتجيب عن أسئلتنا بدقّةٍ شديدةٍ، وأتمنّى أن تكون والدتك موجودةً، وبصحّة جيّدةٍ كي نسألها أيضًا بعض الأسئلة، أنتَ تعلم أنّ أخاك مجرمٌ خطيرٌ ومطلوبٌ للعدالة، وتعاونُك معنا سينقذ أرواحًا عديدةً، أتمنى من حضرتك التّعاونَ معنا.

هزّ الشاب رأسه ثمّ أدخلنا إلى المجلس الخارجي، وقال بعدها:

- دقائقَ لِأُخبر والدتي بوجودكم وطلبكم.

جلسنا داخل (الديوانية) كانت عبارةً عن غرفةٍ بسيطةٍ لا يُوجد بها أثاثٌ مميّزٌ، بعضٌ من اللوحات قد عُلّقت على الحائط بشكلٍ عشوائيٍّ، وبالزاوية كان هناك تلفازٌ موضوعٌ على طاولةٍ مُخصّصةٍ لذاك الغرض، وبعض الصور يبدو أنّها قديمةٌ جدًا لشخصيات كانت تعيش بينهم بالسابق.

وأثناء ذلك دخلت علينا امرأة بعباءةٍ سوداءَ تسير ببطءٍ شديدٍ، هادئةُ الملامح نحيلةُ الجسد، لا أعتقد أنّ هذه التقاسيم التي على وجهها بسبب كبر السن بل هي بسبب ألاعيب الحزن والهمّ التي لعبها الزمن، وقبل أن تجلس ألقت التحية.

رددنا عليها بنفس الطريقة، ثم باغتَتنا بجملة لم نتوقعها:

- كنت أعلم أنّه سيصل إلى ما هو عليه الآن!!

نظرتْ لزميلي مُستغربًا ممّا تقول ثم بعدها أكملَت حديثها وقالت:

- والده هو السبب، وهو من أوصله لهذا كله.

قاطعت حديثها وقلت:

- هل تقصدين بكلامك فواز؟

هزت رأسها بالموافقة وعلامات الحسرة باديةٌ على وجهها.

قلت هنا مُتحمّسًا كونها دخلت بشكلٍ مباشر لما نريد:

- سيدتي.. ولدك متّهمٌ بعدة جرائم قتل، وللأسف الشديد فهو هاربٌ بالوقت الحالي، ومن الممكن أن يُعرّض حياة الآخرين للخطر، أريد منك الآن مساعدتنا، بفهم شخصيّته حتى يتسنّى لنا إلقاء القبض عليه مجددًا، ونعتذر جدًا على وجودنا أثناء هذه الظروف ومن دون موعدٍ سابقٍ، وكما تعلمون أنّ للضرورة أحكامٌ.

قالت السيدة أم فواز بهدوء:

- لم يخطر ببالي أن نكون بمثل هذا الموقف أو هذه الظروف في يوم من الأيام، وأعلم جيدًا أنّكم مضطرون لما تقومون به الآن، وأنا مُستعدّةٌ للإجابة عن أي سؤال تسألونه.

قلت لها مباشرة:

- هل فواز يسكن معكم؟

أجابتني:

- فواز منذ ستة سنوات يعيش بشقته في منطقة القرين، ولا نراه إلا قليلًا، وبالتحديد عندما يحتاج للمال، غير ذلك فلا يزورنا.

قلت لها:

- متى أخر مرة رأيتِه بها؟

قالت:

- منذ ثمانية أشهر تقريبًا، عندما تعرّض لحادث سيارة، وأتى طالبًا بعض المال من أجل إصلاحها، وبعدها لم أرَه بتاتًا.

كانت إجابتها واضحة، أكملت حديثي وقلت:

- هل فواز مُتزوِّج ولهذا السبب لا يسكن معكم؟

أخذَت نفسًا عميقًا وقالت:

- لا فواز رجل منفصل، ولا أدري هل هو يعتبر إنسانًا مُطلّقًا، كون زواجه لم يستمرّ طويلًا، عقد قرانٍ فقط، وانتهى بعد أن طلبت زوجته التي لم تدخل بيته الطلاق، بعدما شعرَت بعدم الرضا، بسبب تصرُّفاته الغريبة، وشقته التي كان يسكن بها مجهّزةً لعشّ الزوجية، ولكن لم تتمّ الأمور، وعلى إثرها عاش هناك طوال الفترة الماضية.

هنا قلت:

- منذ متى حدث ذلك بالضبط؟

قالت لي:

- كما قلت لك منذ ما يقارب الست سنوات.

سألتها قائلًا:

- يعني فواز لم يخرج لسببٍ غريبٍ؟

نظرت الأم لولدها الجالس بجنبها وقالت:

- لا أستطيع أن أُبعد كلمة الغرابة عن حياة فواز، فهو إنسانٌ مُريبٌ جدًا حرفيًا، وبالتحديد منذ الحادثة التي اتُّهموه بها بخطف فتاةٍ عندما كان في بداية مُراهقته، هنا انقلبت حياته كلُّها رأسًا على عقب.

شعرت أنَّني اكتشفتُ البوّابة التي ستدخلني لحياة فواز السِّرِّيّة، قلت لها:

- هل فواز بالفعل قام باختطاف فتاةٍ عندما كان مراهقًا؟

تنهّدت بحزنٍ وقالت:

- إنَّها قصةٌ طويلةٌ يا ولدي، قصةٌ عشنا بَعدها بدوامة لم تنتهِ، أُودِعَ على إثرها فواز لسجن الأحداث المركزي، لقد قام باختطاف فتاةٍ تُدعى أمل، كانت ابنة جارنا في ذاك الوقت، والذي فهمته أنَّه كان مُعجبًا ومُتعلِّقًا بها، لكن حدث شيءٌ بينهم قلب الأمور كلّها رأسًا على عقب، وهو ما أثر على نفسيّته ليقوم بعدها باختطافها، من أجل أن تبقى معه.

لم تكن إجابتها مقنعةً كثيرًا، قلت لها:

- هذا كلُّ ما تعرفينه عن هذه القضية؟

أجابَتني قائلةً:

- لم أتابع الموضوع بشكلٍ دقيقٍ بتلك الفترة؛ بسبب كثرة المشاكل الحاصلة وقتَها بيني وبين والده، الذي كان السبب الرئيسي لما وصل له ابني فواز، وكل ما أذكره أنّ فواز كان يعاني من حالة نفسية جعلته يقوم بكل هذا، إثر الصدمة العاطفية التي تعرّض لها، وهو ما جعل الحكم الصادر بحقّه مُخفّفًا

سألتها هنا وقلت:

- هل لديك أي معلومات عن تلك التي تدعى أمل؟

قالت أم فواز:

- ليس لدي أي معلومات عنها، القصة انتهت منذ فترة، وللأسف صنعَت من ولدي شخصًا أخر، شخصًا لم أتوقّع في يومٍ من الأيام أن أرى مثله.

ثمّ دخلَت في نوبةِ بكاء.

نظرت لزميلي بعدها، وكأني أعطيه إشارةً للمُغادرة، فهم منّي ما أريد، لننهضَ سويًا مع بعضنا البعض وقلت:

- نعتذر كثيرًا على الإزعاج، وتعلمون أنّها تحقيقاتٌ روتينيّةٌ نظرًا لحساسية القضية، نؤجّل حديثنا اليوم ونكمله في وقتٍ لاحقٍ.

وبعدها انطلقنا للخارج، تاركين وراءَنا الأمّ مع ولدها، قال لي زميلي ونحن نسير إلى السيارة:

- أعتقد أنّنا عرفنا بعض المعلومات المُهمّة عن فواز، وماضيه الذي أوصله لكلّ هذا.

قلت له بعد أن فتحت باب السيارة أهمُّ بالصعود:

- ليست الحقيقة الكاملة، هناك أمور لم نصل لها حتى هذه اللحظة، فواز يُخفي ماضيًا من المتوقّع أن يكون أرضًا خصبةً، كي يكون قاتلًا متسلسلًا بتلك المواصفات السيئة، بشاعة الجرائم التي قام بفعلها تدل على كل ما أقول، ولا نستطيع معرفة ذلك إلا من خلاله.

وقبل أن تنطلق السيارة، انتبهنا للولد الذي كان يجلس معنا قبل قليل (أخي فواز) يحاول إيقافنا.

قلت له:

- ما الذي تريده منا؟ هل هناك شيء تريد أن تضيفه على حديث والدتك؟

قال وهو يلهث:

- والدتي لم تقل الحقيقة إنّها تكذب!!

نظرت لزميلي بدهشةٍ وقلت:

- وما هي الحقائق التي لم تقلها؟

فواز:
10

لم أكن أتوقّع أن تكون خائفةً منّي كل هذا الخوف، كانت تنظر لي بنظراتٍ يشوبها التّوتُّر، تُراقب أي حركة أقوم بها بدقة، بنفس الوقت لا زلت لا أثق بها أو بأي بكلمة تقولها، أرتبك من حديثها الذي يسوده الحذر، أعلم يقينًا أنّها ستقوم بحركةٍ مباغتةٍ ضدي، لكنّني لا أعرف ما الذي ستقوم به ومتى، أتمنى أن أفهم ما تريد الوصول إليه، كنّا صامتين أغلب الوقت لا نتحدّث إلا قليلًا بعدما قصصت لها قصة هروبي، ساعات النهار بطيئةٌ جدًا، بالكاد تجاوزنا فترة الظهيرة، قطعَت وصلة تفكيري تلك وقالت:

- أتسمح لي بالذهاب للحمام؟

تذكرت أنّها لم تتحرك من مكانها منذ أن أيقظتها في ساعات الفجر الأولى من هذا اليوم، قلت لها بعد أن ركزت عيني على باب الحمام:

- نعم.. بعد أن تتركي جهاز هاتفك هنا، ولا أريد أي تأخير، أو أي تصرف غير محسوب، لن أتردّد بقتلك حالَك حال من سبقوك، فليس لي أي شيءٍ أخسره.

هزت رأسها بالموافقة، ونهضت ببطءٍ شديدٍ، وأنا أرى كل أعضائها تنتفض خوفًا، كانت تسير بريبة وتلتفت وراءَها كثيرًا تحسبًا لأي حركة مفاجئةٍ منّي، وكنتُ أراقب تحرُّكاتها

بدقّة إلى أن أغلقت الباب وراءَها، ثوانٍ قليلة حتى سمعت رنين هاتفها من جديد، نهضت لأرى اسم المتصل المدعو جابر، وقلت:

- كثرت اتصالات جابر هذا، إلحاحه يثير الشك، كيف لي التأكد من هويّته؟ وعلى ما أعتقد أنّ إسراء تكذب عليّ بما ذكرته لي قبل قليل، وهذا ما رأيته بعينها.

ترددت كثيرا قبل أن أرد، ولا أدري ما الذي سأقوله له، لا أريد إثارة الشبهات، وأحتاج لكلّ دقيقةٍ بهذا المنزل، فضولي كان أكثر رغبةً مني، ضغطت الزر الأخضر لأسمع صوت ذلك الرجل الذي قال بشكل مباشر:

- يا حقيرة كم تحتاجين من الوقت حتى تجيبي على اتصالاتي، إلى متى تتعاملين معي بكبريائك الزائف؟ أجيبي ودعينا نتفاهم.

كان ينتظر مني ردًا، واستغربت كثيرًا من كلامه فلنفترض أنّه كما قالت، لماذا يتحدّث معها بهذه الطريقة الفظّة والوقحة التي تؤكّد أنّه قريبٌ منها أكثر ممّا هو معتادٌ بين الأقرباء؟ عاد بكلامه مجدّدًا:

- لمَ لا تردّين هل بلع القطُ لسانَك؟

زاد استغرابي أكثر، وبنفس الوقت كنت مترددًا كثيرًا، هنا تذكّرت حيلةً جيدةً حتى أُخرجه من دائرة الشك التي أحاطت بنا، وقلت:

- على ما يبدو أنّك قد أخطأت بالرقم.

تغيرت نبرة صوته بعد أن سمع نبرة صوتي الرجولية وقال:

- من معي على الهاتف، هل هذا رقم فجر؟

رددت عليه متصنّعًا الوقار وقلت:

- عن أي فجر تتحدّث؟!

صمت قليلًا وبعدها قال:

- على ما أظن أنني فعلًا مخطئ كما قلت، أعتذر منك كثيرًا.

قلت له:

- لا عليك لم يحدث شيء، وأتمنى منك قبل الاتصال أن تتأكّد جيدًا كي لا تزعج الناس بهذا الوقت.

أغلق الهاتف سريعًا، ثم انطلقت مسرعًا نحو باب الحمام والشّكّ يعتريني، طرقت عليه بقوة وقلت:

- لماذا هذا التأخير؟ أخرجي بسرعة، لديك دقيقةٌ واحدةٌ فقط قبل أن أكسر الباب.

سمعتها وهي تقول:

- حسنًا ثوانٍ وأخرج.

كنت أقف خلف الباب وصوت الماء الجاري يؤكد أنّها انتهت، وما إن خرجت حتى وجدت يدَيّ وهي تلتف على عنقها كأفعى حاقدة، ثم سحبتها بكل قوة نحو الحائط، أرى الذعر

الذي اجتمع بملامحها وقلت:

- من جابر هذا الذي تدّعين أنّه أحد أقربائك؟

كانت تحاول دفع يديّ عن رقبتها، وأنا أضغط عليها بشدة، هنا انتبهت أنّها تحاول الكلام، فسحبت يداي عنها لتسقط وهي تلهث بتعبٍ وعينَين زائغتَين لتقول:

- لماذا لا تريد أن تصدقني؟ لم أكذب عليك بأي شيء، جابر أحد أقربائي.

صرخت بأعلى صوتي:

- لم أعد ساذجًا كما كنت في الماضي، أصدق ما تقولينه، فواز القديم قد مات يا إسراء، لن أصدق أكاذبيك من جديد، ولن أسمح لك بالتلاعب بي مرة أخرى، أنت كما أنت لم تتغيّري، إنسانةٌ أنانيّةٌ، تبحثين عمّا يُرضي غرورك، ولا تفكرين بمشاعر الآخرين، ولا أنسى آخر موقف، وحيلتك القذرة تلك.

اعتدلت بجلستها محاولةً جمع شتات أنفاسها، واضعةً يدها على رقبتها، والخوف كاد ينطق من أعلى وجهها، رمقتني بغِلٍّ وهي تقول:

- لا أدري عن أي ماضٍ وأكاذيبَ تتحدّث عنها!

صرخت بأعلى صوتي وبغضب:

- ما صلتك بجابر ولماذا يتّصل بهذا الشكل؟

ردّت بخوف:

- إنه أحد أقربائي كما قلت لك.

فتحت بعدها الهاتف ودخلت على محادثات برنامج الواتس أب وقلت:

- هل هذا القريب الذي تدعين؟ يريد مقابلتك بأسرع وقت، ومُستعدٌ أن يكفّر عن أخطائه من أجل أن تعودي له من جديد!!

بالفعل هذا ما قرأته بأحد محادثات الواتس أب، وشكل لي الصدمة، وهنا فهمت أن المدعوّ جابر ليس بقريب يريد الاطمئنان على إسراء.

نظرت لي والصدمة تعلو وجهها وقالت بارتباك:

- هذا الأمر يحدث أحيانًا.

صحت بوجهها:

- أفهميني.. كيف يحدث ذلك؟ لا يوجد مبرّر واحدٌ مقنعٌ بأنّ هذه المحادثة التي قرأتِها تحصل بين أقرباء فقط.

عمّ الصمت من جديدٍ، وعيناي يتطاير منهما الغضب، نهضت من مكاني وتوجّهت ناحيتَها وقلت:

- المُعاملة بطريقةٍ لطيفةٍ لا تصلح مع من مثلك.

شددتُها من شعرها ثم صفعتُها على وجهها، سقطت على الأرض وهي غير متوقّعةٍ ردّة فعلي تلك وقلت:

- لا أريد أن أسقط في بئر الخيبة من جديد، لا أريد أن أكون

ساذجًا، كل الذي جرى لي بسببك، لقد خلقتِ مني إنسانًا على هيئة وحشٍ، أخبريني هل جابر عشيقك؟

كانت تنظر لي بدهشة ورعبٍ.. وقالت:

- بالفعل إنه عشيقي، الذي أحبُّه وتربطني به علاقةٌ منذ أربعة سنوات، وأنهيت علاقتي به منذ أسبوع، بعد أن اكتشفت خيانته لي، وكل ما يفعله الآن في سبيل أن يعيدني له من جديد، ويريدني أن أسامحه.

عمّ الصمت المكان، شعرت بأحاسيسَ متداخلة، ما بين الحيرة والغضب، لا أدري كيف أردُّ عليها، شريط الذكريات جرّني جرًّا لمكان بعيد، عندما فتحت ذلك الباب، لأرى المشهد الذي قطّع نياط قلبي، قطعت فترة الشرود تلك وقالت:

- صدقني.. لن أعود له مجددًا، وسأكون معك صريحةً من الآن وصاعدًا.

قلت لها ببرودٍ مخيفٍ وهادئٍ:

- منذ متى وأنت على علاقة به؟

قالت بتوجُّس:

- كما قلت منذ أربعة سنوات..

قلت لها بعد أن ركزت نظري لعينيها:

- والآن انتهت قصتك معه؟ ولم تعد ترغبي به.. أليس هذا صحيح؟؟

قالت بسرعةٍ كبيرةٍ:

- بالفعل كما تقول خيانته لي صنعت سدًا كبيرًا بيني وبينه، وهو الآن من يتمنى التقرب مني وإعادة المياه إلى مجاريها كما ترى.

لم يكن أمامي سوى تصديقها، شعرت بألمٍ في بطني، وحالةٍ من الغثيان لا أدري ما سببها، تراجعت للوراء، لأجلس على حافّة سريرها، كانت تنظر لي وتقول:

- هل تعاني من ألمٍ ما؟

قلت لها بصوتٍ متعبٍ:

- هذه المرة سأقتل من يقترب منك، لن أخسرك مجددًا.

لم تكن هناك أي إجابة منها، ولم أشعر بشيءٍ سوى خوفها عليّ بعد أن سقطت على السرير متألّمًا من بطني، لتخرجَ قنّينةَ ماءٍ صغيرةً من الثلاجة، ثمّ قالت لي:

- حاول أن ترتاح قليلًا، على ما أظنّ أنّ تعب الليالي الماضية قد بدأت تظهر آثاره عليك الآن.

شعرت بحنّيتها واهتمامها الذي كنت أفتقده، كنت أنظر لعينها الجميلتَين، وقلبي يرقص فرحًا، سألت نفسي سؤالًا مُهمًّا، هل ستعود إسراء التي أحبّها وأعشقها، والتي لا ترفض لي أي طلب كما كانت؟

شعرت بنعومة يدها وهي تضعها على رأسي، هنا غابت الآلام التي اجتاحتني قبل قليل، لكنّ سؤالًا مهمًّا طرأ ببالي

لأقول لها:

- ما قصتك مع المدعوّ جابر؟

الرائد وليد:

11

كانت جملة ذلك الشاب، مفاجئةً وغير متوقَّعة عندما قال لنا: إن والدته لم تقل الحقيقة كاملة، نظرت لزميلي بعد تلك الصدمة، ثم التفتُّ إليه وقلت:

- ماذا تقصد بكلامك هذا؟

قال الشاب وعلامات الأسى على وجهه:

- إنّها قصةٌ طويلةٌ، قصةٌ تحتاج وقتًا حتى أسردها لكم.

قلت بعد أن اعتدلت بجلستي:

- كل وقتي لك، نحن هنا لسماعك، أي معلومة ستقولها ولو كانت صغيرةً ستكون مفيدةً وستخدم قضيّتنا.

قال الشاب مجددًا:

- لا أريد أن يتأذى أي شخصٍ بسبب أخي، وأتمنى أن ما سأرويه لكم يساعد في حل هذه القضية والقبض على فواز.

قلت له:

- إذًا ما هي الحقيقة التي تودُّ إخبارنا بها؟.

قال الشاب وهو يُنزل رأسه إلى الأرض:

- والدتي هي السبب الرئيسي لما وصل له فواز، لا أدري من أين أبدأ.

قاطعته وقلت:

- قل ما لديك، من دون أي ارتباك فكلّي آذانٌ صاغيةٌ لك.

صمت قليلًا كأنه يريد ترتيب الأحداث برأسه ثم قال:

- القصة التي أذكرها، أنّ والدتي هي المُحرِّض الرئيسي لفواز على والدي، أبي رجلٌ طيّبٌ ذو شخصيّةٍ عاديّةٍ جدًا، لا يُجادل كثيرًا، ولا يُريد أن يدخل بدواماتٍ من النّقاشات، عكس والدتي التي تريد بكل ما أوتيت من قوة فرض شخصيّتها عليه، وتنفيذ ما تقوله دونَ نقاش، إذ كانت هي السبب الرئيسي وراء قطيعته مع أهله أيضًا، ودائمًا تتظاهر بدور الضّحيّة، حتى ملّ والدي من هذا كلّه، بعد أن رأى نفسَه يخسر كل شيءٍ في سبيل ارضائها.

هنا انتبهت والدتي لما يحدث حولها، ورأت أنّها بدأت تخسره تدريجيًا، حيث أنه كان يفكّر جديًا بالانفصال عنها، وهذا ما حصل بالفعل، وما حدث وبعد ذلك بوقت قصير، كان سيئًا، كون فواز كان خارجًا للتوّ من مركز الأحداث.

قطعت كلام الشاب وقلت:

- يعني أن فواز كان يقضي حكمًا قضائيًا بسجن الأحداث؟

هزّ الشابُ رأسه مؤكّدًا ما أقول.

قلت له:

- هل من الممكن أن أعرف سبب سجن أخيك في تلك الفترة؟.

أجابني الشاب وقال:

- كان سجنه بسبب محاولته قتل ابنة جارتنا، ولولا العناية الإلهيّة لماتت الفتاة.

قلت له:

- آه.. نعم تذكرت كلام والدتك عن هذا الموضوع، لكن أخبرني كم كان عمر فواز عندما فعل فعلته تلك؟

ردّ الشاب وهو يحاول التذكر:

- على ما أعتقد كان في الرابعة عشر من عمره.

قاطعته مجددًا وقلت:

- هل لك أن تتذكّر تفاصيل تلك الحادثة؟

أجابني:

- كنت صغيرًا جدًا تلك الفترة، وما أذكره كان مقتصرًا على حديث والدي وبعض المعلومات التي عرفتها لاحقًا، أن فواز كان يودُّ التقرُّب من ابنة جارتنا والتي كانت مقاربةً لسنِّه، والفتاة لا تريد أيّ تواصلٍ معه، حتى قام في يومٍ من الأيام بخطفها واحتجازها في عشه صغيرة أعلى سطح بيتنا، لتقوم بعدها الشرطة آنذاك في عمليّة بحثٍ موسّعةٍ، ولم يتمّ العثور عليها إلا بعد ثلاثة أيام، المصيبة أن فواز كان يبحث معهم.

حتى اكتشفت الشرطة مكانها، بعد بحث طويل، وسط ذهول الجميع، صبي في الرابعة عشر من عمره يقوم بكل هذا.

والذي أعرفه أن فواز، هدّد الشرطة في أي محاولة للاقتراب منها، سيقوم بقتل الفتاة الصغيرة التي كانت وقتها تعاني من جفافٍ وسوء التغذية كونها محجوزة هناك بلا أكلٍ لفترةٍ طويلةٍ.

بعدها ألقت الشرطة القبض على شقيقي وبسبب صغر سنه، تمّ احتجازه في سجن الأحداث، قضى منها خمس سنوات قبل خروجه، والذي صادف فترة تدمر العلاقة بين أبي وأمي، استغلّت والدتي هذا الأمر من أجل أن تضع حدًا لتغير والدي.

صمت الشاب عن الحديث، وبعدها أكمل:

- كان عمر فواز ثمانية عشر سنة وقتها، رغم نحالة جسمه، إلا أنه كان يملك عقلًا خبيثًا لا يستخدمه إلا في الأمور السيئة، ودخل مع والدي بالعديد من المشاكل التي لم تنتهِ، حتى استنجد أبي بالشرطة بعد أن وصل الأمر بالتطاول بالأيدي، كانت والدتي المُحرّض لفواز، تدّعي المظلوميّة والانكسار، رغم أنها كانت مُتسلّطةً جبّارةً لا ترحم، وفواز كان مُتعلّقًا بها بشكلٍ كبيرٍ لا يرفض لها أيّ طلبٍ، ومُستعدٌ أن يفعل أي شيءٍ من أجلها، كانت والدتي تمدّه بالعطف والحنان بتلك الفترة مستغلّةً وضعه النفسي، كونه خرج للتو من سجن مليءَ العينات السيئة من البشر.

أمي للأسف إنسانةٌ أنانيّةٌ لا تفكّر سوى بمصلحتها، فوالدي كان يئِنُّ وجعًا وانهزامًا من تصرُّفاتها الغريبة، ويؤكّد أنها لم تكن أمًا حنونًا علينا أبدًا، كانت تهمل فواز في صغره وكان

يقضي أغلب أوقاته مع الخادمة، والدتي لا تفكر سوى بنفسها، وانشغالها بأمور تافهةٍ كالمناسبات والخروج والتسوق، كانت تثقل كاهل والدي بمصاريف ليس لها أي أهمية، كانت تريد الظهور أمام الناس بمظهر لائق فقط.

قاطعته قائلًا:

- وراء كل مجرمٍ ماضٍ سيئ.

بعدها نظرت للشاب الذي وضح على وجهه التردد وقلت:

- هل لديك شيء تريد أن تقوله؟

قال لي:

- نعم.. لكن لا أعلم كيف سأخبركم به.

هنا شجّعته على الكلام وقلت:

- لا تتردّد فنحن هنا لخدمتك، وكما قلت لك أي شيء تخبرنا به سيكون من صالح القضية.

أجابني بصوتٍ منخفضٍ ومنكسرٍ:

- فواز كان شاهدًا على خيانة أمي لأبي.

سكت بعدها وهو ينظر للأرض، قلت هنا:

- أتمنى أن توضح هذا الأمر دونَ خوفٍ، وأؤكد لك أنّ ما تقوله سيكون بيننا، ولن يُكشَف لأي أحد.

قال بصوتٍ يملؤه الحزن:

- والدتي كانت تربطها علاقةٌ بشخص، فواز كان شاهدًا على هذا.

قاطعه زميلي وقال:

- هل أنتَ مُتأكّدٌ ممّا تقول؟ وكيف عرفتَ هذه المعلومات الحسّاسة؟

قال بصوتٍ شبه باكٍ:

- تمام التّأكيد.. والذي نقل لي هذه المعلومات فواز نفسه، فأنتَ تعلم نحن أشقاء وفواز كان يقصُّ عليّ بعض ما يُعاني منه، خاصّةً بعد أن دخل الطبّ النّفسيّ، عندما فشلت علاقته مع إحدى الفتيات، على ما أظنُّ تدعى إسراء، وبعد خروجه قال جملةً لم أنسَها أبدًا، جميع النساء خائناتٌ لا تثق بهنّ أبدًا، كنتُ وقتها أُحاول تخفيف وطأة قصّته تلك، لكنّه نهرني بغضب، ليقول جملته بتحدٍّ:

"حتى والدتُك لا تثق بها" كانت صدمةً بالنسبة لي، كيف لفواز الذي يحب أمي ولا يقبل عليها أيّ شيء أن يتّهمها هذا الاتّهام الخطير؟

الذي أذكره أنّني صرختُ بوجهه، وقلت أنّ حالته النفسية هي السّبب الذي جعلَه يتوهّم بتلك الأشياء، وأنّ التجربة التي خرج منها كانت سببًا في اتّهام كلّ نساء الأرض بالخيانة.

وقتها سحبني من ثيابي وتوجّهنا لغرفته ثم أخرج صندوقًا صغيرًا كان يحتفظ به في دولابه، لأرى صورةً فوتوغرافيةً،

جعلتني أعيش حالةً من الصّدمة والذهول، والدتي بجانب شخصٍ غريبٍ لا أعرفه، قال لي بعدها:

- عندما كنت في السابعة من عمري، اكتشفت أنّ والدتي تجلبُ هذا الشخص الذي بالصورة إلى بيتنا بعد غياب والدي في عمله، كنتُ يومها مريضًا وأُعاني من حمّى شديدة، فتوجّهت لغرفة والدتي لأسمع من خلف الباب ضحكاتٍ وصوتَ رجل، في البداية كنت أعتقد أنّه والدي، وبعد تدقيقٍ فتحت الباب الذي كان مواربًا، لأرى الشخص الذي كان معها بالغرفة، يجلس بالقرب منها كثيرًا، لا أنسى هذا المشهد أبدًا، ظلّ عالقًا بذاكرتي، ومن يومها بدأت أُراقب أمي التي استمرّت بتلك العلاقة مع ذلك الرجل فترةً طويلةً، وفي يومٍ فتّشت غرفتَها لأجد تلك الصورة التي احتفظت بها، لتكون شاهدًا على هذا كلّه.

قلت هنا:

- لماذا فواز يحبُ والدتك كلّ هذا الحبّ؟ في المقابل هي لا تستحقُّ حبّه، وهو يعلم ذلك جيدًا.

قال الشاب الصغير:

- فواز مريضٌ نفسيٌ، مريضٌ بشيءٍ اسمه التّعلّق، فهو لم يذق الحنان والحب من والدتي بالصغر، كان يفتقر هذا كلّه، وعندما كبر تفاجأ أنّ والدتي الخبيثة بطبعها أعطَته كلّ ما يريد، فسامحها مقابل تلك الجرعات التي كان يستقيها منها بتلك الفترة، رغم ذلك كان فواز أيضًا يُعاني من حالةٍ نفسيّةٍ

بعد تلك التجربة السيئة مع إسراء، فلم يجد أمامه سوى والدتي التي استغلّت وضعه النفسي وبدأت تُمارس ألاعيبَها عليه.

قلت هنا:

- هل تعلم شيئًا عن قصة الخيانة مع المدعوّة إسراء كما تقول؟

قال لنا:

- لا ليس لدي أي معلوماتٍ كافية، ففواز بعد هذه الحادثة، تغيّر كثيرًا بعد أن دخل الطب النفسي، وكان أغلب وقته يحبس نفسه بغرفته، وهو نفسه يتحاشى الحديث عن هذه العلاقة، إلى أن قرّر السكن وحده، وبعدها انقطعت أخباره عنا.

عمّ الصمت تلك اللحظات، لأقطعه بسؤال:

- هل هذا كل ما لديك؟

هز الشاب الصغير رأسه وقال:

- نعم هذا ما لدي، وتأكّدوا أن فواز ضحيّةٌ نسجتها الظروف، ليكون بهذا الشكل.

شكرت الولد على ما أخبرنا به، وطمأنته أنّ ما دار بيننا لن يعرف به أحدٌ، وطلبت منه أن يكون أكثر تماسكًا ولا يتأثر بالأحداث حوله كون المستقبل لا يزال أمامه.

نظرت لزميلي بعد أن غادر الشاب الصغير المكان، وقلت له:

- نحن أمام قضيةٍ شائكةٍ ومعقّدةٍ، بطلها ضحيةٌ ومجرمٌ بنفس الوقت، مجرمٌ لا يرحم النساء، وضحيةٌ لعائلةٍ مفكّكةٍ صنعت منه ذلك الرجل الذي أصبح آلةً للقتل، يجب عليّ الإسراع ودراسة ملفّ ضحايا هذا القاتل بتمعُّنٍ، حتى أعرف كيف يُفكّر جيدًا.

هزّ زميلي رأسه وقال:

- لك هذا.. أمامنا الآن أقل من ثمانية وأربعين ساعة فالوقت يمضي بسرعة، سأتواصل مع جميع الوحدات بعد قليل لآخذ منها التقارير الأخيرة، كي نقلّص عمليّة بحثنا، ونضيّق الدائرة عليه، وكلّي ثقةٌ أنّ فواز لم يخرج من دائرة المنطقة القريبة من المخفر، ويختبئ بالقرب منّا كثيرًا، والمعلومات التي لديّ أنّه ذكيٌ جدًا ويعرف كيف يتصرّف بمثل هذه الظروف.

قلت له هنا:

- نحتاج تكثيف البحث عن المنازل التي بالقرب من المخفر، ونقوم بتحرّياتنا عنها، حتى نحدّد مكان الاختباء، وبعدها نقوم بعمليّة التفتيش، ونصل بالأخير إليه.

بعدها غادرنا المكان وكلّنا أملٌ في القبض عليه..

فجر:
12

لا أعلم لماذا كنتُ أتعاطف معه كلّ هذا التّعاطف رغم قسوته معي، إضافة إلى أنه قاتلٌ طريدٌ ويحتجزني بمنزلي، تفكيري بوالدتي التي ترقد في غرفة العناية الفائقة يشغل بالي كثيرًا، سألني سؤاله عن قصة جابر ولم أجد أيّ مفرٌ من الإجابة، هنا تحدّثتُ وقلتُ:

- عرفته بعد طلاقي من زوجي، بعد أن دخلت في حالةٍ نفسيّةٍ سيئةٍ، احتواني بحبه، وقام بسدّ كلّ الثغرات في حياتي، كان بالنسبة لي السند الحقيقي الوحيد في هذه الحياة، لم أجد أمامي سواه، بعد تخلّي الجميع عني.

قطع وصلة كلامي وهو مندهشٌ وقال:

- هل تزوّجت يا إسراء بعد خيانتِك لي؟

لم أفهم ما يقصد، وكنت مُرغمةً على مُسيارته، فهو طوال الوقت يظنُّ أنّني إسراء التي كان يحبها، وأعلم جيدًا أنّني لن أستطيع إقناعه بأنّني أُدعى فجرًا وهنا قلت:

- نعم تزوّجت رغمًا عنّي، لم تكن تلك التجربة ناجحةً ولم تدم طويلًا، ثم انتهت بالطلاق، لا تظنّ أنّ المرأة التي تُطلّق تكون فرِحةً بانفصالها عن شريك حياتها، بل هي تتصنّع ذلك لأنّها تحاول أن تهرب من الواقع، كانوا يقولون لنا إنّ الزواج ستزّ للمرأة ولا نعلم أنّ أغلب حالات الزواج ما هي إلّا مشاريعٌ

فاشلةً.

قال لي بعدها:

- ماذا حدث وكيف وصلت لما عليه الآن؟

قلت له:

- بعد هذه السنوات التي قضيتها معه، لم أفكر بالارتباط به كزوجٍ، لأنّني كنت خائفةً من هذه الفكرة، ولا أُريد تكرار التجربة نفسَها، وأعود للمربع الأوّل، كنت أريد أخذ وقتي في التعرُّف على شخصيّته أكثر، حتى أصل في النهاية لقرارٍ صائبٍ، وحصل ما كنتُ مُتخوِّفةً منه، عندما اكتشفت خيانتَه الأولى قبل سنتَين، كانت بالنسبة لي صدمةً كبيرةً، وقرّرت بعدها أن أتركَه، لقد فعل المستحيل حتى يُعيد علاقتي معه.

برّر فعلته تلك أنّها كانت نزوةً، أنا حبُّه الأول والأخير والوحيد، لن يُكرِّر هذه الخيانة مرة أخرى، لم أجد أمامي سوى مُسامحته، لأنّني بالفعل كنت أحبه وأعشقه بجنونٍ، وطوال الفترة الماضية أكابر وأدوس على قلبي، ومرّت الأيام سريعًا، وعلاقتي معه كانت جيدةً جدًا لا يشوبها سوى بعض المشاكل البسيطة التي تحدث دائمًا ما بين أي عشيقَين، وما حدث بعدها وبالتحديد قبل شهرٍ من الآن هو ما جعلَني أصل إلى هذا الحال.

قال لي بحماسٍ:

- ما الذي حدث؟ هل تركتِه؟

نظرتُ له ببرودٍ وقلت:

- نعم بالفعل هذا ما حصل، لقد تركتُه بعد أن اكتشفت خيانتَه الثانية، والمصيبة أنه كان يخونني مع شقيقتي.

نظر لي بدهشةٍ وقال:

- هل لديكِ شقيقةٌ أخرى؟ وهي تعيش معكِ بهذا البيت؟

أجبتُه وقلت:

- نعم لديّ شقيقةٌ وهي الأخرى مُطلّقة، لا تخف إنها لا تعيش معي بنفس المنزل، فلديها بيت مع أولادها، وعلاقتها ليست بجيدة مع والدتي

قال بسخطٍ:

- الخيانة داءٌ لا علاج له بأي نوعٍ من العلاقات، ما الذي فعلته بعدها؟

قلت له بيأسٍ:

- لم يكن أمامي سوى حلٌّ واحدٌ هو قطع هذه العلاقة السيئة من أساسها، والتخلص من جميع المشاعر التي كانت تُسيطر عليّ، وتدمير علاقتي مع شقيقتي الوحيدة أيضًا، التي لم تُراعي أي صلة قرابةٍ بيننا، وباعتني بسهولةٍ من أجل المدعوّ جابر.

هنا توقّفتِ الحياة بالنسبة لي، قتلت الثقةَ بداخلي بأي أحد، لم يكن أمامي سوى الانطواء على نفسي والاهتمام بوالدَتي

فقط، وأريد أن أعيشَ ما تبقّى من حياتي بهدوءٍ مُنعزلةً عن العالم.

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

- الجزاءُ من جنس العمل، وهذا ما حدث معك، يبدو أن الزمن قد اقتصّ منك، بعد خيانتك لي بتلك الفترة.

صرختْ بوجهه بغير قصدٍ ودونَ شعورٍ:

- عن أي خيانةٍ تتحدّث يا هذا، أنا لا أعرفك ولم تربطني بك أي علاقة في وقتٍ سابقٍ.

بعد جملتي تلك راح ينظر لي بغضبٍ شديدٍ، كأنّني قلت شيئًا لم يرِد سماعَهُ وقال لي وهو ينهض من مكانه:

- أيّتها الملعونة لا زلت تُنكرين خيانتك لي، وتحاولين التملّص منها، جميعكم تفكرون بنفس الطريقة، تريدون الظهور بمظهر الملائكة، وفي الحقيقة أنّ الشياطين أرحم منكنّ.

انتبهت هنا لحديثي الذي استفزّه وقلت:

- لكلّ وقتٍ ظروفه الخاصة، ولا أدري ما هي الظروف التي جعلتني أفعل ذلك، ربّما كان الأمر يعود للمجتمع، الذي ينظر لعلاقة حبٍّ على أنّها خطيئةٌ أو جريمةٌ بحقّ العادات والأعراف.

عاد بالصراخ مجدّدًا وقال:

- لا تبرّري لنفسك كثيرًا أنت امرأةٌ، وجميعكم تريدون أن تحوّروا الأمور لصالحكم فقط، دون النظر لمشاعر الآخرين، كنت أريد أن أعيش باقي حياتي معك بهدوء، وما فعلته كان تدميرًا نوويًا لقصة حبي لك.

نظرت للأرض أريد أن أتخلّص من هذا كلّه، ليقطع الموقف اتّصال جابر، الذي جعل فواز ينظر لي بحقدٍ، وقال بغضبٍ:

- لا يزال هذا الأحمق يُواصل اتّصاله عليك، على ما أظن أنّ ما سبق وقلته لي مجرد أكاذيبٍ تُريدين أن تُخمدي بها ثورةَ غضبي.

هنا قلت له:

- صدقني لم تكن مجرّد أكاذيب، إنّها الحقيقة المُرّة التي أعيشها، وإذا لم تصدّقني أنظر للرسائل التي بينَنا، فهو يريد أن يستأنف العلاقة من جديدٍ وأنا أحاول صدّه.

قال لي:

- إن كان ما تقولينه فعلًا صحيحٌ لِمَ لَم تحجبي رقم هاتفه، لماذا تريدين التواصل معه؟

انتبهت لجملته تلك التي جعلَتني بحالةٍ من الصدمة وقلت:

- كنت.. كنت أريد أن أقتصّ لكرامتي التي سلبها منّي، وترجّيه واستعطافُه لي كان يجعلني بحالةٍ من الانتصار الصغير الذي يُخفّف ألمي من تصرُّفه، وتأكّد أنّني لن أعود إليه مهما فعل.

نهض من الفراش الذي كان يستلقي عليه ومدّ يده على القنّينة الزّجاجيّة التي كانت بجانبه ثم رماها على الأرض تعبيرًا عن غضبه وقال:

- سأقتلكما أنتما الاثنان لو كنت تكذبين، أو حاولَ الاقتراب منكِ مرّةً أخرى.

كنت خائفة وقتها من تصرفه، وفكّرت قليلًا ثمّ قلت:

- هذا الأحمق يهدّدني، لو تركته سيقتلني وأنت الآخر تقول نفس الكلام، يرسل لي الكثير من الرسائل يطلب منّي مقابلتَه والجلوسَ معه، وهدّدني بالقدوم إلي بمسكني في حال أن رفضت مطالبَه، أو إذا لم أُجب عن رسائله.

توقّف فواز ثم وضع رأسه على الحائط لأنتبه له وهو يبكي ويقول:

- يكفي.. يكفي ما يحدث، في كل مرّةٍ أكون أنا الخاسر، ما الذي فعلته بك يا إسراء حتى تتعاملي معي بتلك الطريقة؟

ليستمرّ بعدها في نوبةِ بكاءٍ كأنّه طفلٌ صغيرٌ، شعرت ببعض التعاطف ناحيته، لا أدري لماذا كنت أتمنى أن أداوي جروحه المُلتهبة، اقتربت منه دون شعورٍ واحتضنته، وبدأت أمسح على شعره محاولةً تهدئتَه، وقلت:

- لا عليك سأبقى معك طوال الوقت، ولن أتخلّى عنك مهما حدث.

نظر لي وهو يقول:

- هل صحيحٌ ما تقولينه يا إسراء؟ ألن تتخلّي عني أبدًا بعد الآن؟

قلت له بعينَين تملؤهما الثقة:

- نعم لن أبتعد عنك وسأبقى معك هنا، ولن أدّخر جهدًا في إنقاذك من مأزقك هذا، وسأبعد أعين الشرطة عنك، وكل ما أريده منك بهذا الوقت، أن تحكي لي قصتك بالكامل، والحال الذي أوصلك لما يحصل لك الآن، منذ البداية، أنت مثقلٌ بالهموم وأريدك أن تفرغ ما بداخلك، حتى نعرف بعدها كيف نتصرّف معك.

لاحت على وجهه أسارير الفرح، ثم جلس على الكرسي الذي بجانبي وقال:

- لن أتردّد في قصّ حكايتي لك، اسمعي الآن.

علياء:

13

كنت أشيح بنظري عن ذلك الرجل الذي يجلس بالطاولة المجاورة لي، والذي يحاول استمالتي ناحيته منذ أن جلست في المطعم، المكان كان مليئًا بالناس بينما كنت أنا أحاول التركيز مع صديقتي الجالسة أمامي، والأحمق لا يزال يُواصل ابتسامته اللعينة ونظراته المقيتة لي، قطعت صديقتي هذا المشهد السيء وقالت:

- كيف الحال مع وليد الآن هل لايزال مستمرًا بغيابه؟

أطلقت تنهيدةً طويلةً وقلت:

- نعم.. فهو على حاله لم يتغيّر، لا يزال يغيب عنّا فترةً طويلةً بحجة العمل، كلامه غير مقنعٍ، ألا يوجد بقسم الشرطة ضابطٌ غيره، تصرفاته التي يقوم بها تكاد تسقطني بفوّهةِ الجُنون المُطلق.

قالت لي:

- ماذا تقصدين، هل لا زلت تشكّين به؟

أجابت صديقتي وقالت:

- ضعي نفسك في مكاني، رجلٌ يغيب عن المنزل أغلب فترات يومه، وعندما يعود يفكّر بالنوم فقط، وحين أقوم بسؤاله عن سبب ذاك الغياب، يرد عليّ بتلك الأسطوانة

المشروخة: طبيعة عملي هي من تجعلني أتأخر أو أغيب بهذا الشكل.

مطّت صديقتي شفتيها وقالت:

- من الممكن أن يكون صادق في كلامه، كونه يعمل في سلك الشرطة، وهذا المكان حساس كثيرًا، وبنفس الوقت لا يوجد لديك دليلٌ واضحٌ على أن يكون بعلاقة مع فتاة أخرى.

زفرت بعدم رضًا وأجبتها:

- لنفرض أنّ كلامك صحيح، لماذا لا يجلس معنا ويتابع أخبار أولاده بدلًا من مراقبته لهاتفه المحمول بعد عودته من العمل؟ وأغلب وقته صامت، ولا يتجاذب معي أطراف الحديث، حتى كلامه الجميل الذي كنت أسمعه منه في بداية زواجنا أصبح معدومًا.

ردت على كلامي وقالت:

- علياء أنت تكبّرين المواضيع وتضخّمينها، ما تقولينه مجرّد افتراضاتٍ لا صِلةَ لها بالواقع، كلُّ ما في الموضوع أنّ العمل يأخذ كلّ جهده، ويرى أن بيته مكانٌ للتنفس، دعك من هذا كلّه، وحاولي أن تُساعديه على ذلك.

لا يزال ذلك الأحمق يتلاعب بوجهه يريد لفت انتباهي، بينما كنت أحاول عدم الاكتراث به أو النظر إليه، هنا أكملَت صديقتي حديثها وقالت:

- لم لا تقومين بتفتيش جهازه النقال؟

نظرت لها بحدّةٍ وقلت:

- لا أدري كيف تفكرين، زوجي رجل شرطة، وجهازه مليءٌ بالمعلومات التي يقول إنّها حسّاسةٌ، ويرفض رفضًا قاطعًا لمس هاتفه حتى، ويقول هذه خصوصيّاتٌ لا أُريدك أن تتعدّي عليها، معلما أفعل معك.

ابتسمت صديقتي بهدوء وقالت:

- علياء أنا أعرفك منذ أيام الثانوية، ومن الممكن أن يكون المثل السائد (كلٌّ يرى الناس بعين طبعِه) هو ما يملأ رأسك، فأصبحت لا تثقين بأحد.

أجبتُها بغضبٍ وقلت:

- ماذا تقصدين يا وقِحة؟

أجابتني:

- عزيزتي لا تغضبي، وهوّني عليك، ماضيك كان مليئًا بالعلاقات، وكنت تقيمين علاقاتٍ عديدةً مع أكثر من شخص بنفس الوقت، وهذا ما يجعلك الآن تفكّرين بنفس الطريقة، وتظنّين أنّ جميع الناس خونةٌ.

اسمعيني جيدًا حتى ترتاحي من هذا كلّه، لماذا لا تقومين بمراقبته دون أن يشعر، حتى تصلي بالأخير للحقيقة التي تبحثين عنها، بصراحة يا علياء بعض الأحيان لا أدري كيف تُفكّرين.

لتقوم بعدها بإطلاق ضحكةٍ طويلةٍ، وأكملت حديثها:

- لا تركّزي كثيرًا على حديثي، كنت فقط أداعبك حتى أُخفّف لحظات توتُّرك غير المبرّرة.

لم يعجبني كلامها بتاتًا، لأنّني أعرفها جيدًا، فهي لا تُلقي بأي كلمة إلا وراءَها ألف معنى، وقلت هنا:

- نعم كنت كذلك كما تقولين في السابق، وكان هذا في أيام المراهقة، وأعتقد أنّ العديد من الفتيات كُنّ يُقفنَ العديد من العلاقات، وبعد الزواج كل شيء يتغيّر بعد أن ننضج، ولا نفكر سوى بعائلتنا، الذي نفعله بالسابق كان لحظات طيش وهذا لم يعد من طباعي.

وقتها كانت عيني على ذلك الأحمق الذي يجلس بالطاولة القريبة منا، والذي لا يزال يُمارس ألاعيبه الغبيّة، انتبهت صديقتي لنظراتي المُشمئزّة له، ثم التفتَت للوراء وقالت:

- بعض الأحيان الماضي يعود بصور مختلفة، ويحمل بداخله نفس المعنى، لا تكترثي له ودعيه لي، أعرف كيف أتصرّف مع هذه الأشكال.

مع ابتسامة خبيثةٍ تحمل بداخلها العديد من الصور.

لم يعجبني كلامها، فنهضت بسرعة من مكاني وقلت:

- مضطرة للمغادرة الآن

انتبهت لكلامي وتصرفي المفاجئ وقالت:

- لِمَ أنت غاضبةٌ؟ إنني أمازحك لا أكثر.

قلت لها:

- الأمر ليس مرتبطًا بك، بل بذاك الأحمق الذي لم يكفّ بصره عني، وأشعر بحنقٍ شديدٍ، أرجوك اطلبي الحساب ودعينا نغادر.

حاولت صديقتي أن تُلطّف الأجواء وقالت:

- إذا كان ذلك الذي يجلس وراءَنا هو سبب عدم ارتياحك، فدعي الأمر لي.

ثم نهضت متّجهةً له، وراحت تقذفه بشتّى الشتائم، وسط انتباه الناس، لم يعجبني هذا التصرف من قِبَلها، لأترك المكان وأرحل بسرعة.

الرائد وليد:

14

على مكتبي العديد من ملفّات الجرائم التي قام بها فواز، كنت غارقًا داخل محتوياتها، أقرؤها بتمعنٍ وأتفحّصها بتركيزٍ عالٍ، أريد عمل دراسة مُستفيضةٍ لحالة هذا المجرم الطليق لعلّي أصل في النهاية لكيفيّة تفكيره، تحليل نمط عقليّته سيختصر عليّ الكثير من الوقت والجهد.

بهذه الأثناء دخل زميلي الملازم حمد وقال:

- أتمنّى أن تكون قد أخذت فكرةً كافيةً عن القاتل!

أرجعت رأسي للوراء ثم مسحت على وجهي أحاول نفض التعب من أعلاه وقلت:

- القاتل الذي أمامي يفكّر بطريقةٍ معقّدةٍ جدًا، أمامي تسعة جرائم قتلٍ، ثمانيةٌ منها لفتياتٍ في مُقتبَل العمر لم يتعدّين الخامسة والعشرين من عمرهنّ، بمواصفاتٍ متشابهةٍ تقريبًا، الأمر الغريب أنّ الجريمة التاسعة كانت لرجلٍ كبيرٍ في السّنّ تجاوز الستين من عمره، وهذا كلّه لا يتطابق مع طبيعة القاتل المتسلسل، الذي دائمًا ما يختار ضحاياه بعنايةٍ ودراسةٍ وبمواصفاتٍ مُعيّنةٍ.

قاطعني الملازم حمد وقال:

- هل أنت متأكّدٌ أنّ الرجل الكبير بالسن هو من ضمن ضحاياه؟ أو ربما تكون جريمةً عابرةً واختلط عليك الأمر.

عقدت حاجبي أفكّر بما يقوله زميلي، ثم انتبهت لنقطةٍ مهمّةٍ وبعدها تحدّثت:

- ليس الأمر مصادفةً، الرابط الذي يجمع ضحايا القاتل مع ذلك الرجل هو طريقة القتل التي اعتمدها فواز، كانت متشابهةً مع جميع القتلى، إلّا أنّه مختلفٌ عنهنّ بأنّه رجلٌ عجوزٌ، وهذا يُخالف النمط السائر في سلسلة الجرائم التي اتبعها فواز، وهذا ما يُحيّرني.

قال زميلي مُستفهمًا:

- هل من الممكن أن تشرح لي بشكلٍ مُستفيضٍ حتى أفهم جيدًا أسلوب ذاك السفاح في جرائمه؟

فتحت أحد الملفات التي كانت بجانبي وشرحت له:

- القتلة المتسلسلون دائمًا تكون جرائمهم متشابهةً وعلى نسقٍ معيّنٍ، سواء في اختيار ضحاياهم، أو منهاج قتلهم، ودائمًا ما يضعون رموزًا أو علاماتٍ على ضحاياهم، مثلًا يترك شيئًا معيّنًا في مسرح الجريمة أو يكتب عبارةً، أو يقتطع جزءًا من الضحية، أو يقوم بطريقةٍ واحدةٍ في تعذيب ضحاياه قبل قتلهم، وأغلب الأحيان ما تكون أهدافه على شخصياتٍ متشابهةِ الملامح والأعمار أو المظهر أو في التصرفات.

هزّ زميلي رأسه كأنّه استوعب جزءًا مما أقول، ثم أكملت حديثي:

- القاتل الذي أمامنا، لا يختلف عن القتلة المُتسلسلين كثيرًا، فهو يقوم بنفس الطريقة، وبالأصل هذا يعود لمرض نفسي أصابه منذ طفولته وظلّ باقيًا معه لسببٍ معيّنٍ، سواء كان يعود لمشاكلَ عائليةٍ أو صدمةٍ نفسيةٍ، تصيب منطقةً ما بالمخ وتخلُّ بالتوازن الكيميائي الخاص به، تجعله متجرّدًا من الأحاسيس أو يحمل المشاعر السلبية على الدوام، ولا يرتاح سوى بالقتل أو تعذيب ضحاياه، وتجعله بحالة من الرضا والمتعة تصل للانتشاء.

قال زميلي هنا:

- حتى الآن لم أفهم سبب زجّ جريمة القتل المُتعلقة بالرجل العجوز مع فواز، أي ما هو الرابط فيما بينها؟

اعتدلت بجلستي وقلت له:

- الرابط بينها متعلّقٌ في طريقة القتل المطابقة تمامًا لجرائمه الأخرى، فواز يتميّز بطريقةِ قتله، وهذا ما قرأته من خلال تقارير الطب الشرعي، التي تؤكّد أنّ الضحية تموت في البداية بسبب الاختناق، وعلى ما أعتقد أنّه يقوم بخنق ضحاياه، قبل أن يمارس ألاعيبه على جسد الضحية، فكل جريمة يقوم بها فواز يكون الترميز لها بأمرين، الأولى حالة الخنق والثانية بانتزاع القلب من مكانه، وهو ما أكّده الطب الشرعي أنّ عمليّة انتزاع القلب تمّت بطريقةٍ عشوائيّةٍ وغير احترافيّة، وهذا ما لاحظناه على جثة الرجل العجوز، سبب الموت الاختناق، ثم نرى بالصور أنّ الضحية بلا قلب، وهذا

يعني أن ترميز فواز أو بصمته التي يتركها على ضحاياه هي انتزاع القلب من الجسد وهي العلامة الفارقة.

هزّ زميلي رأسه وقال:

- الآن فهمت، واتضحت لي الصورة بشكلٍ كبيرٍ، لكن هل اكتشفت أمورًا أخرى بملفّات الجرائم؟

قلت له:

- نعم ملفات القتلى مليئةٌ بالأمور المُتشابه، التي تؤكد أنّ فواز لا يختار ضحاياه بشكلٍ عشوائيّ، فكما ترى جميعهم فتياتٌ نحيلاتٌ جدًا، ذوات شعرٍ أسودَ طويلٍ، ووجهٍ مُستديرٍ، وكما قلت لك أعمارهم لا تتجاوز الخامسة والعشرين، ويقوم بقتلهم بطريقةٍ واحدةٍ.

وتؤكد التقارير أن فواز يتعرف على ضحاياه من خلال برامج التواصل الاجتماعي عبر برنامج الانستغرام، فهو لا يمدُّ الضحية بأي معلومات مباشرةٍ عنه، فقط التواصل عبر البرنامج، واتّضح من خلال التحريات أن جميع الأرقام التي تتبعها وحدات الجرائم الإلكترونية، ترتبط بأرقامٍ ليس لها أي بيانات، أو تكون مسجلةً بأسماء عمّال آسيويين أو عرب، فتبيّن من خلال التحريات أن فواز يقوم بسرقة الهواتف، ثم يربط رقم الهاتف مع البرنامج، ومن ثم يصطاد فريسته الجديدة، وبعدها ينفذ جريمته ويقوم بتدمير الشريحة، والتي يفقد على إثرها تتبعه، وبهذه الطريقة يقوم بمسح أي شيء مرتبطٍ به.

قال زميلي يريد التوضيح:

- يعني أنّنا أمام مجرمٍ عتيدٍ غير اعتيادي، ويملك عقليةً مميزةً، وهذا أيضا يجعلنا نتأكد أنّنا أمام قاتلٍ يفكّر خارج الصندوق، إذًا ما هي الطريقة التي تُساعدنا على الوصول إليه من وجهة نظرك؟

قلت له بعد أن صمتُ لثوانٍ:

- الملفات التي أمامي، أعطتنا صورةً واضحةً عن طريقة قتله، والشيء الوحيد الذي سيجعلنا نصل إليه هي طريقة تفكيره، وكما قلت إنه يفكر دائمًا خارج الصندوق، عكس تفكير الشرطة، وهذا يؤكد أنّه لا يزال بالمنطقة القريبة من قسمنا، ويختبئ في أحد البيوت المجاورة لنا؛ لأنّه يقرأ بذكاء طريقة عمل الشرطة.

قال زميلي:

- أتّفق معك بما قلت، وليس أمامنا سوى أربعة وعشرين ساعة، حتى تنتهي المدة التي أمهلَنا إياها العقيد، ونحتاج لسرعة أكبر للقبض عليه، ما رأيك لو قمنا بعملية تفتيشٍ كاملةٍ لجميع المنازل القريبة من قسم الشرطة؟

عقدت حاجبي مرة أخرى وقلت:

- لقد فكرت بهذا الأمر لكنّني تراجعت عنه، فهذه الطريقة لن تكون عمليةً جدًا وستستغرق وقتًا طويلًا قبل الوصول إليه، فالبيوت القريبة منّا ليست بقليلة تتعدى المئة منزل على أقل

تقدير، وهذا يحتاج جهدًا وعددًا كبيرًا من رجال الشرطة، يجب علينا الآن حصر المنازل المشتبه بها، حتى نضيّق دائرة البحث، ونقوم بتفتيشها برأيي هذا أفضل حل، لنستغلّ عامل الوقت.

ردّ الملازم حمد:

- بالضبط كما تفضّلت بالقول، لو قمنا بعملية تفتيش عشوائيّة فالأمر سيطول، أو ربما سنتيح الفرصة للقاتل للهروب إذا ما شعر بنا، علينا التركيز على بعض المنازل المشتبه بها.

قلت له بعد أن فطنت لشيء ما ثم أخذت أحد الملفات القريبة ومددتها ناحيته:

- هذا الملف يختص بجريمة الرجل العجوز، أريدك أن تتطلع عليه بشكل موسع، وتتحرّى عنه بدقة، لماذا هذا العجوز من ضمن ضحاياه؟ فواز لا يقتل دون سبب، لعلّ هذا الشيء يوصلنا لخيوطٍ مهمّةٍ في القضية، أمامك ساعتان من الآن حتى تبحث بشكل جيد بهذا الملف.

وقف زميلي بعد أن أخذ الملف وقال:

- حاضر سيدي، سأبحث وأتحرى عن ماضي هذا العجوز جيدًا، وبعد ساعتين سيكون أمام مكتبك تقرير كامل ومفصل عنه، وتأكد لن يهدأ لي بال حتى أقبض على هذا المعتوه.

شكرته على تعاونه وطلبت منه أن يتواصل مع الأفراد

الآخرين لعمل تقرير عن أغلب البيوت التي يكون مشتبهًا بها، وبالتحديد التي طرأ عليها تغييرٌ مفاجئ

ثمّ قلت له:

- لحظة قبل أن تذهب عليك قراءة هذا الملف الخاص بمستشفى الطب النفسي.

أخذ زميلي الملف، نظر لي ثم قال:

- ما الذي يحمله هذا الملف؟

أجبته قائلًا:

- بفترة زمنية ليست ببعيدة، دخل فواز مستشفى الطب النفسي، بسبب صدمة نفسية، خلفتها علاقة سابقة مع فتاة، وانتهت تلك القصة بالفشل، وذكر في تقرير المستشفى أنه يعاني من مرضٍ نفسيٍ ملازمه منذ الطفولة، ساعد في تطور حالته وتحوله إلى ما هو عليه الآن، أريدك أن تقرأ هذا الملف وعمل تقرير خاص به، ولو تطلب الأمر الاتصال بالمختصين بهذا المجال لا تتردّد أبدًا.

كل ما أريده دراسةٌ مستفيضةٌ عنه وبشكلٍ كبيرٍ، لا أريد أن نترك أي شيء يمرُّ من أمامنا دون أن ننتبه له، لا تنسَ أننا نتعامل مع حالةٍ خطيرةٍ ومريضةٍ بنفس الوقت، والتركيز بمثل هذه الأمور أمرٌ ضروريٌ ومُهمٌ.

وبعدها تركني زميلي وذهب، أغوص بتلك الملفات الكثيرة التي أمامي..

فواز:
15

كنت بين يديها كالطفل الصغير، الذي خرم من وجه أمه طويلًا، أراقب عينيها وملامح وجهها الجميلة، لا أريد أن تغيب عن عيني تلك السحنة الناعمة، أتمنى لو كانت لدي الجرأة لكي أخبرها كم أنا أحبها ومُستعدٌ لمسامحتها، تمنيت لو أنّني لا أفارق حضنها، فأنا مشتاقٌ لها كثيرًا، لتعويض روحي من ذلك الحرمان الطويل، أتمنى أن تفهم أنّني جندي جريحٌ من حرب الحياة، ويحتاج لتضميد جراحه من يديها ومشاعرها وروحها، أتمنى أن تفهم ذلك، فصبري بات ينفذ، وقلبي ليس أمامه أي حلول أخرى، لا أريد أن تعبث بي مستغلّةً تلك الحالة النفسية، وتدوس على روحي بلا رحمةٍ وبلا شفقةٍ، قالت بصوت رقيقٍ وهاديٍ:

- فواز أتمنى أن تحكي لي قصتك بالكامل، لكي أساعدكَ على التخلُّص من هذا الشّتات، فكلّي آذانٌ صاغيةٌ لك.

شعرت براحة كبيرة وهي تكلّمني برقّة وحنانٍ، كأنّ روحي بالسماء تحتضن روحها، حالة التعلق تلك جعلتني لا أتحكّم بنفسي، ثم بدأت بالحديث عن قصتي التي ربما بهذه الكلمات تزيح الكثير عن كاهلي:

- قصتي يا فجر..

قطعت حديثي وقالت:

- ماذا قلت فجر.. هذه المرة الأولى التي تنطق اسمي الحقيقي.

ابتسمت بهدوء وقلت:

- لا مفرّ من حياتنا حتى لو رسم لنا الخيال لوحاتٍ من الإنكار، خيالنا ملاذنا الوحيد الآمن الذي نستغيث به من الواقع المرير.

قالت بعدها وملامح الراحة بانت على وجنتَيها:

- حسنًا حسنًا، أكمل يا فواز لن أقاطعك مرّةً أخرى.

لم أعلّق على جملتها تلك وأكملت حديثي:

- فجر.. الحرمان الذي يتربّى معنا لا يخلق بداخلنا سوى أرواحٍ هشّةٍ، تتحطّم عند أول موجة من الخيبة، وهذا ما حصل معي بحياتي، أعتبر الابن الأكبر لعائلةٍ صغيرةٍ، أم مُتسلّطةٌ تعلّمت منها معنى الخذلان، يقال أن الأمهات هنّ أول من نستقي منهنّ دروس الحب، ويا للأسف لم أتعلم من والدتي هذا الشيء، وبالتحديد عند إدراكي للحياة، كنت مهمَلًا لأقصى درجة، كنت أبقى بملابسي الداخلية بلا تغييرٍ لمدة يوم كامل، وفي بعض الأحيان تمتدُّ لعدّة أيام، كنت أشتمُّ رائحتي القذرة، وأظن أنّ هذه هي الحياة الطبيعية، تربيت على يد الخادمة التي كانت تتلذّذ بتعذيبي انتقامًا من أمي التي لم تكن تعاملها معاملة حسنة، كانت تحبسني بغرفتي طوال اليوم، لا يسمعني ولا يراني سوى الجدران، تخيّلي طفل صغير لم يتجاوز الخامسة يعيش بمثل هذه

الحياة، إضافةً على قسوتها تلك، كانت تتفنّن بوسائل تعذيبي النفسي والجسدي، سواء بالضرب أو نعتها لي بكلمات فظّةٍ وقبيحةٍ لا يتحملها إنسانٌ بالغٌ، لم يكن بيدي حيلةٌ سوى تقبّل كل شيء، وأهرب من هذا الواقع بالدموع الخفية، والدتي تعيش حياتها بعيدًا عني بملذّاتها، غير مباليةٍ بي لا أراها سوى ساعاتٍ قليلةٍ بالأسبوع، باختصار هذه طفولتي التي عشتها.

قالت هنا متأثّرةً بكلماتي تلك:

- أين والدك من هذا كلّه؟

ابتسمت بسخريةٍ وقلت:

- والدي مسكينٌ هو الآخر كان يظنّ أنّني أعيش حياة طفلٍ حقيقيةً، كما أنه كان مغلوبًا على أمره، ويعشق والدتي لحد الجنون ولا يرفض لها طلبًا، يصدق ما تقول، وينفّذ جميع أوامرها برحابة صدر، كان منشغلًا عني بحياته العملية، تاركًا لوالدتي مسؤولية رعايتي التي لم تكن جديرةً بها، لا أدري هل أقول إنه شارك بصنع هذا الإنسان، أم أنّه ضحيةٌ مثلي؛ بسبب إنسانةٍ نرجسيّةٍ لا ترى إلا نفسها ولا تفكر سوى بمتعتها، كنت أسمع في المدرسة عن عقوق الوالدين، ولم أسمع مرّة واحدةً، عن عقوق الأولاد، علمونا حقوق والدَينا علينا، ولم نتعلّم أنّ لنا حقوقًا عليهم، ليست كل امرأةٍ تستحق لقب أم.

صمتُ قليلًا محاولًا استعادة أنفاسي من هذا الهول من

الألم، لتقول فجر:

- أكمل لماذا سكتّ؟

أخذت قِنينة الماء التي كانت بجانبي وارتشفت منها بعد أن جفّ ريقي وقلت:

- لا أدري لماذا الحياة كانت تعاملني بهذه القسوة، لماذا كانت تريني جانبها السيء، ألا تعلم أنّني مازلت صغيرًا على هذا كله؟!، كانت الخادمة هي الأخرى ترى أنّني إنسانٌ يستحق ذلك، كنت أرى فجورها في منزلنا بعد أن تأتي بعشيقها لغرفتها بشكلٍ يومي، بسبب غياب والدي عنه، وتمارس معه أشياء لا يتقبلها أو يستسيغها عقل طفل، كنت أظنّ أنّ ما أراه طبيعي، حتى وصل الأمر بعشيق الخادمة على التحرش بي، ولولا بقايا الرحمة التي نزلت على قلب الخادمة لفتك بي ذلك الملعون، وأعتقد أن غيرتها هي من حمتني من براثن ذلك المسعور، وأفعاله تلك تركت أثرًا بالغًا داخل نفسي، جعلتني أبكي وأتوجّس ممّن هم حولي، كنت أقفز من الخوف بعد مرور دجاجةٍ بجانبي، أرى كلّ شيء يريد التهامي بلا رحمة.

قالت لي فجر بغضبٍ:

- لِمَ لَم تُخبر والدَيك بما يحدث لك، لتحمي نفسك؟

تنهّدت بعمقٍ طويلٍ وقلت:

- وما حيلة الطفل!! كنت لا أعرف التعبير، ووالداي كانا

يعتقدان أن الخادمة عاملةٌ منزليةٌ مميزةٌ، فهي الحل السحري لغيابهم وانشغالاتهم الكثيرة، المبرر الوحيد لما يقومون به، لا يريدون سماع صوت الواقع، واستغاثة طفل بلا قدرة للدفاع عن نفسه، يظنون أنهم لو صدقوا كلامي سيخسرون تلك الخادمة المثالية، كان الوعي بذلك الوقت قليلًا جدًا وبالأخصّ عن الخادمات، والملعونة كانت تتظاهر أمامهم أنّها طيّبَة وحنونةٌ وتقوم بعملها على أكمل وجه، بينما في السّرّ تمارس كل ما هو سيء بحقّي.

هنا شعرت بحرقة بمعدتي عندما تذكّرت ذلك المشهد الذي لا أستطيع نسيانه ما حييت وقلت:

- أحد أكثر الصدمات بحياتي، وأكثرها عنفًا وقسوةً، لا أدري كيف لطفل بمثل عمري أن يتحمّل هذا الشيء، كنت في التاسعة من عمري، ليلتها كنت محمومًا ودرجة حرارتي مرتفعةٌ، ومستلقٍ بغرفتي وحيدًا، الساعة تشير للسابعة صباحًا، وكلُّ شيء بنظري كان متعبًا، والأجواء كانت رماديّة بمرارة مرضي، كنت أسعل كثيرًا، وقتها شعرت أنّ المرض قد اشتدّ عليّ، وصداع قوي كاد أن يفتكَ برأسي، لم أجد ملجأً لي سوى غرفة والدتي، فوالدي بهذا الوقت يكون بعمله، تقدّمت نحو غرفتهم وأنا أترنّح من شدة التعب، وعندما وصلت كان الباب مواربًا، وقبل أن أدخل سمعت صوت والدتي وهي تتحدّث مع أحدهم، في البداية اعتقدت أنّه والدي، كوني كنت بحالةٍ غير مستقرّةٍ لم أُميّز الصوت إلا عندما فتحت الباب لأجد والدتي وهي تجلس بالقرب من

رجلٍ غريبٍ لا أعرفه هنا قلت لوالدتي:

- من هذا الرجل يا أمي الذي يجلس بجانبك؟

ارتبكت والدتي وقتها، ثم انطلقت نحوي وقامت بجري من شعري وقالت لي بعصبيّةٍ شديدةٍ:

- أنت ولدٌ غير مهذّبٍ لماذا لم تطرق الباب قبل الدخول؟

وهي تُمارس عنفها الشديد علي، من دون رحمة ضربتني ولا أدري ما سبب هذا الضرب، وكنت أعتقد أنّ فتح الأبواب خطأٌ يُعاقب عليه القانون، يومها نمتُ باكيًا مصدومًا متعبًا، وأنا أتذكر ذاك الرجل الذي كانت والدتي تغوص بحضنه.

قاطعتني فجر هنا:

- وهل فهمت وقتها من هذا الرجل؟؟

قلت لها وأنا مطأطئٌ رأسي للأسفل:

- لم يكن الأمر يحتاج كل هذا الذكاء، رجلٌ غريبٌ لا أعرفه، بداخل غرفة والدتي بساعةٍ غير مناسبةٍ للزيارات، من يكون؟! إنّه عشيقها، وبعد هذا الموقف بدأت والدتي تمارس طرق التهديد والوعيد معي، حتى أنّها قالت: لو أخبرت أحدًا عمّا رأيت سيزورك من سيقوم بقتلك، وبالفعل حدث هذا عندما كنت نائمًا في أحد الليالي، لأتفاجأ بجسد إنسانٍ غريبٍ يقف بوجه بشع، وهو يهددني بصوت غليظٍ، ويقول:

- أذا أخبرت أحدًا بما رأيت بغرفة والدتك، ستموت وسنؤذيك ولن نرحمك.

لا أنكر أنّني كنت في بداية الأمر أموت رعبًا، بعدها فهمت أن عشيق والدتي هو من يقوم بهذا الدور لكي يُخرسَني فترةً طويلةً، وهذا ما تحقّق لهم، عشت تلك الفترة ما بين الخوف والرعب واليأس والحرمان والإهمال، حتى أحسست أنّني بحالة بعثرة، وفضّلت الابتعاد عن الناس.

قالت لي فجر هنا تريد أن تفهم شيئًا:

- لا تحاول إقناعي بأن والدك لم يلحظ شيئًا، أين هو من هذا كلّه؟ لم ينتبه لحالك، أو أنّك حاولت أن تشتكي عنده؟

ابتسمت بسخرية وقلت:

- عمّن تتكلّمين والدي!!.. والدي كان يحق ثقةً مُطلقةً بأمي ويصدق كلّ ما تقول، فأمي كانت تشحن رأسه بمعلوماتٍ غير حقيقيةٍ، وتبيّن له أن الأمور كلها تسير على ما يرام، رغم المآسي التي تحدث بهذا المنزل، إضافةً أنّه رجلٌ كثير المشاغل، ويفضّل عمله على العائلة، أذكر في أحد الأيام، أنني حاولت اللجوء إليه، وقمت بالتلميح له في البداية، لكنّه نهرَني وقال لي

" كلُّ ما تريده تجده عند والدتك، أنا هنا لكي أرتاح".

قالت فجر:

- لا أدري ماذا أقول لك، وليس لدي أي تعليق، الذي فهمته أنّك مررت بفترةٍ قاسيةٍ لم ترحمك.

صمت قليلًا، كأنّ الماضي قد غصّ بذاكراتي وقلت:

- مرت هذه المرحلة بسيئاتها، ودخلت في سنّ الصّبا، مرحلة الاستكشاف الحقيقية، كنت أهرب من واقعي بالجلوس وحيدًا، بعيدًا عن وجه عاملتنا، وبالتحديد فوق سطح منزلنا، كنت أملك عشّةً خشبيةً صغيرةً، أربّي بها قليلًا من الدجاج الذي كان يؤنسني، في ليلةٍ فطنت إلى أن دجاجي يقل، ولا أدري أين يختفي، حتى علمت أنّ هناك قطًا كبيرًا يتربّص بهم، وطبعا هذا اللعين كان يستطيع بطريقة لا أعلم كيفيتها أكل دجاجاتي، فبدأت أفكر هنا بطريقة للتخلص منه.

سألتني فجر وقالت:

- ما دخل مرحلة الدجاج تلك بقصتك؟

قلت لها موضّحًا:

- ستعرفين بعد قليل ما الذي أريد الوصول إليه؟

هزت رأسها كأنها علمت أن تدخّلها غير مبرّر، ثم أكملت حديثي:

- بدأت أفكر بطريقة تخلصني من هذا القط، وبالفعل نصبت لها فخًا ببعض المعدّات المتوفّرة، كان لديّ قفص حديدي به فتحة مبوبةٌ صغيرةٌ، وضعت بداخله قطعةً من الطعام، الدخول للقفص سهلٌ لكنّ الخروج منه صعب جدًا.

وبالفعل وقع القط بالفخ بسبب شهيّته ونزوته المفرطة، أتذكر أنّني صعدت للسطح وسمعت مواءَه العالي، فرحت عندما وجدته بالداخل لا يعرف كيف يتصرّف، ومن دون

شعورٍ فتحت القفص من الأعلى ومددت يدي لرقبته ساحبًا إيّاه، لأخرجه وانا أرى قدميه تتلاعب بالهواء وسط مقاومته للإفلات من قبضتي، كنت فَرِحًا بهذا الصيد الثمين، ولا أدري ما العقوبة التي سألحقها به، لأنتبه لوجود تنّور حديديٍّ صغيرٍ موجودٍ فوق السطح، هنا لاحت برأسي فكرةٌ شيطانيّةٌ.

قاطعتني فجر مرة أخرى ولكن باشمئزاز وقالت:

- لا تقل لي بأن ما أفكّر به صحيحٌ، هل قمت بحرقه بالتنور؟!

طلبت منها عدم الاستعجال والانتظار قليلًا حتى أتمكّن شرح القصة بشكل تفصيليّ:

- الذي حدث يا فجر كان بالصدفة، أشعل بداخلي شيئًا لم أتوقّعه، وبالتحديد عندما كنت متوجّهًا للتنور أحاول إشعال النار بيدٍ واحدةٍ، واليد الثانية كانت ممسكةً بالقطّ اللّعين الذي كان وقتها يحاول التّملّص من يدي، وبينما كنت منشغلًا بالتجهيزات يلتفُّ القطُّ على يدي ثم يقوم بعضّي، وبحركة لا إراديةٍ تركت ما كان بيدي الثانية لأُطبقَ على رقبته بقوّةٍ شديدةٍ، وكأنّ تلك العضّة، أيقظتِ الوحش الذي بداخلي، القطُّ لم يجد له أي مفرٌّ من يديّ اللتّين التفّتا حول عنقه، وراح يحاول دفعَ يدي بأطرافه مستخدمًا مخالبَه، هنا سمعت صوتًا يخرج منه، حشرجةً قويةً انطلقت من أحشائه، ثم خرّ ساكنًا، كأنّه بالونٌ قد فرغ منه الهواء.

قالت فجر هنا:

- قتلت القط بالخنق؟ لا أدري ما المشاعر التي كانت تنتابك لحظتها، هل شعرت بالخوف أو الندم؟

لحظتها كنت أشعر بالنّشوة كأنّ القطّ بين يدي الآن، لأكمل:

- أبدًا لم أشعر بأي ندم، بل العكس تمامًا، كنت في نشوةٍ كبيرةٍ لا أعرف من أين خرجت، مشاعرٌ رائعةٌ، بقيتُ صامتًا لمدة دقائقَ أنظر لذلك القط الصريع، متذكّرًا حشرجتَه الجميلة التي خرجت من داخله، لم أفهم وقتها لذةَ هذا الإحساس، لكنّه بقي يرادوني ما بين الحين والآخر أتمنّى تكراره، لأقوم بعدها بإشعال التنور، وأقذف بجيفةِ القطّ داخلَه.

كنت أتساءَل هل هذه هي لِذّة الانتقام؟ كوني قتلت شيئًا كان يعتدي على ممتلكاتي، لأستمرّ بعدها بملازمة السطح الذي أصبح ملاذًا آمنا جديدًا لي، أمارس لِذّتي باصطياد الحيوانات، وقتلها بتلك الطريقة، كان بعضها يموت بلا حشرجة، بينما هناك حيوانات أخرى تصدر ذلك الصوت، كانت متعةً جميلةً يا فجر.

توقّفت عن الكلام بسبب الملامح المُتوتّرة التي ظهرت عليها لحظتها..

فجر:
16

لم يكن أمامي سوى التظاهر بالاندماج مع كلامه حينها، والتعاطف مع بعض المشاهد التي يذكرها، رغم أنني كنت مرتعبةً من بعض ما نطقَ به، خاصةً المشهد الأخير الذي قاله لي، والذي كان يتحدث به عن مشاعر اللذة حينما قام بقتل القطّ عن طريق خنقه وسماع صوت حشرجته، قال لي مقاطعًا تلك اللحظات:

- أعلم جيدًا أن ما أقوله لا يعجبك، وهذه لحظة الصراحة التي لا بدّ أن يعرفها شخصٌ ما، لا أريد أن يموت هذا السرّ معي.

لم أفهم جملتَه تلك جيدًا وقلت:

- هل استمرَرتَ بقتل الحيوانات طويلًا؟

تغيّرت ملامحُه إلى الراحة وكأنه تذكر شيئًا جميلًا، وقال:

- بهذه الفترة حدث شيء آخر أيضًا قلبَ حياتي رأسًا على عَقِب، كان هناك فرعٌ بقالة قريب من بيتنا، أذهب إليه في أغلب الأوقات لشراء بعض الحلويات والسكاكر، في يوم ما وأنا في طريق العودة منه، رأيت فتاةً تسير أمامي أعتقد أنها كانت في مثل عمري، تمسك بيدها كيسًا كبيرًا، كانت تحمله بصعوبة، وبسبب الثقل الكبير الذي لم يتحمله الكيس، تمزقَ وسقط كلُّ ما فيه، نزلَت على الأرض محاولةً جمع الحاجيات

التي وقعت. كنت وقتها أرى ملامح الآسى التي ظهرت على الفتاة الجميلة، مررتُ بجانبها في أثناء انهماكها بعملها ذاك، فانتبهتْ لي ثم قالت:

- لوسمحت هل أطلب منك طلبًا صغيرًا؟

توقفت ونظرتُ إليها وقلتُ:

- ما الذي تريدنه؟

قالت لي وهي جاثية على ركبتيها:

- كما ترى جميع أغراضي سقطت والكيس تمزق، البقالة ليست ببعيدة، أريد منك إحضار كيس آخر لي من البقالة، فلا أستطيع ترك المكان؛ أخاف أن تُسرَق أشيائي.

فهمتُ ثم انطلقتُ نحو البقالة القريبة، وجلبت لها كيسًا، كانت سعيدة كوني استطعت مساعدتها وجمعتُ معها ما سقط منها، وقبل أن ننتهي، أخرجَت من جيبها قطعةَ حلوى على شكل مصاصة، وقالت لي:

- تفضل هذا الشيء البسيط، فهو تعبيرٌ عن شكري لك.

لا تتصورين كم كنت سعيدًا وقتها، شعرتُ أن هناك مشاعر حقيقية خارجة من داخلي ناحيتَها، وذلك الامتنان وجدتُه كله داخل تلك المصاصة التي بقيتُ أحتفظ بها، لأنها الذكرى الوحيدة الجميلة والحقيقية بمشاعرَ غير زائفةٍ.

لا أعرف لماذا تعلّقت بها كل هذا التعلُّق على الرغم من أنها لم تتحدث معي كثيرًا، والمشهد كان بسيطًا، لكنه ظل عالقًا

بذهني، أصبحت أذهب للبقالة وأجلس بجانبها أنتظرها كلّ يوم، أتحيّن الفرص لعلّي أراها وأتحدث معها، ويا لَلأسف مرّ شهرٌ كاملٌ دون أن ألمحها، لأعود لحياتي مجددًا، أجلس فوق السطح مع دجاجي، وأمارس هوايتي بقتل الحيوانات.

إلى أن جاء ذلك اليوم، كنت واقفًا أمام بيتي، أراقب الحيوانات الصغيرة لاصطيادها، لمحتُها وهي تسير ناحيةَ البقالة، شعرت أنها الفرصة المناسبة، حتى أعبّر عمّا في داخلي، انطلقْت نحوها وانتبهَت لي، وحاولَت الابتعاد عني، قلتُ لها:

- أنا فواز الذي ساعدَك قبل فترة بعدما سقطت منك حاجياتك، وقتَها أعطيتِني تلك المصاصة تعبيرًا عن شُكركِ لي.

لم تجب على كلامي، بل تحاشتني وسارت بخطوات سريعة أمامي، قلت هنا:

- على فكرة لم آكُل المصاصة التي أهديتني إياها في المرة الماضية، واحتفظتُ بها إلى هذا اليوم، لكونِها ذكرى جميلة منك.

لم تهتمّ ومضت، قلت لها مرةً أخرى:

- هل بدر مني أي شيء يُضايقك؟

ومن دون شعور قمتُ وشددتُها من كتفها، التفتَت ناحيتي بغضب وقالت:

- ابتعد عن طريقي، حظي السيء هو من جمعني بك في المرة الماضية، وانتهى كل شيء، لا تعتقد أنك أصبحت صديقي.

كانت كلماتها جارحةً كالسياط التي نزلت على جسدي، لا أدري لِمَ كنت متوهمًا أنها معجبة بي، رغم أن موقفًا واحدًا هو من جمعَني بها، ولم يحصل منها أي شيء، رفض عقلي ما قالته، وبدأت نار الحسرة تلتهب في جوفي، الانـجذاب ناحيتها يرادوني أحيانًا، ولا أدري لماذا تعلّقت بها، وغضبُ الانتقام يتراقص أمامي بسبب ما فعلته بي ولإهانتها لكرامتي بتلك الكلمات السامّة.

قلتُ له بعد أن انتهى من تلك الفقرة التي على ما أظن أنها كانت ثقيلة عليه:

- هل من المعقول أنك أحببتها بهذه السرعة؟

نظر إليّ ببرود وقال:

- لا أدري لماذا انـجذبتُ لها كل هذا الانـجذاب، لم تغب عن بالي دقيقة واحدة، كنت أفكر بها الليل مع النهار، لا ترتاح روحي إلا بعد رؤيتها.

كلام هذا الرجل يحير الاندهاش، لا أدري كيف كان يفكر، أو مِن أيّ تكوينٍ مَخلوقٌ عقلُه، قلت له: ما الذي جرى بعد ذلك؟

قال لي:

- حياتي كانت أشبه بالمستنقع المليء بالحشرات، التي

أراها كل يوم تلتصق بجسدي بتطفل، ولا أعرف كيف أُبعدها عني، مثل تصرُّفات والدتي، وانشغالها بذلك العشيق، إهمال والدي، لعانة خادمتنا وخباثتها، راحتي بعد قتلي للحيوانات، الجلوس وحيدًا بتلك العشة مع الدجاج لفترة طويلة، وفي الآخِر خيبتي من ناحية تلك الفتاة التي تُدعى "أمل" وصدّها لي، رغم أنني كنت مستعدًا أن أفعل لها أيّ شيء في مقابل أن ألمس يدها فقط.

كنت أعيش في دوامة لا تنتهي ولا تتوقف، صراع كبير ما بين تجاوُز تلك الحالة، أوالبقاء فيها، حتى قررتُ في يوم من الأيام أن أقوم بفعل لا أدري كيف وقتَها فكرتُ به.

كانت علاماتُ الدهشة والترقُّب بادية على وجهي وقلت له بتلهف:

- ما الذي فعلتَه؟! لا تقل لي أنك قمت بقتلها!!

أخذ نفسًا عميقًا ثم أكمل لي حديثَه قائلًا:

- في أحد الأيام رأيتُ والدتي بكامل زينتها وجمالها، فقمت بسؤالها عن سبب هذه الأناقة، فأجابتني بأنها مدعوّة هي ووالدةُ أمل لحفل زفاف ابنة إحدى جاراتنا. فلمعَت في ذهني فكرة مجنونة، ألا وهي أن أذهب لمنزل أمل بعد مغادرتهم للتحدُّث والتودُّد لها.

وبالفعل يا فجرُ هذا ما قد حدث، وقفتُ عند عتبة باب بيتهم الخارجي منتظرًا إياها فَتحَهُ بعد أن ضغطتُ على زر الجرس.

وبعد القليل من الانتظار، فُتِحَ البابُ لأجدَها وقد طار عقلي من جمالها، فابتسمتُ لها قائلًا:

- مرحبًا.. كيف حالك؟

أجابتني وعلامات الاستغراب مرسومة على وجهها:

- أهلًا.. هل تريد شيئًا؟

قلت لها والسعادة تملأ قلبي:

- بصراحة.. لم أرِد شيئًا سوى رؤيتك والتحدث معك.

عبسَت بوجهي ثم قالت لي بحدّة وغضب واضحين:

- ما هذه التفاهة التي تقولها؟ لِمَ لا تحاول فهمَ أن ما قمتَ به سابقًا كان مجرد مساعدة لطيفة منك، وقد شكرتُك عليها وانتهى الأمر عند ذلك، فأرجوك توقّف عن أفعالك تلك.

لم أتوقع هذا الرد منها، كنت أظن أنها ستقدّرُ إعجابي وحبي لها، لكنها صدمتني بردّة فعلها، واجتاحتني موجةٌ من الغضب فقدتُ معها أعصابي، لأقوم بإمساك ذراعها وجرّها نحوي، ثم أخرجت سكيني من جيبي ووجهته إلى خاصرتها بعد أن وضعت يدي على فمها لمنعها من الصراخ، وهمست بأذنها:

- إن قمتِ بأي فعل أهوج، سأغرس هذه السكين بخاصرتك، ولن أتركك إلا وأنت ميتة.

ثم قمت بسحبها معي إلى منزلي، وتوجهت بها للسطح،

وأدخلتها لعش الدجاج، ثم كبّلتها وأغلقتُ فمَها، وسط دهشتِها وهَلَعِها، وكنت وقتها أهدّئها بالسكين، وبقيت على هذا الحال، وأنا جالس بجانبها أتأمل وجهها فقط.

زادت علامات الذهول على وجهي وقلت:

- ما الهدف من هذا الفعل المجنون؟

أجبتها:

- لا تسأليني هذا السؤال؛ لأنني لم أكن أعرف الإجابة وقتها، الذي أعرفه أنني كنت أشعر براحة كبيرة، عندما أرى وأتأمل وجهها الجميل، وأيضًا كنت أريد أن تجيب على التساؤل الذي كان يدور في رأسي، بعدما حَلَلْتُ الكمامة التي ربطتها على فمها وقلت لها:

- لماذا تعاملتِ معي بهذه الطريقة؟ لماذا رفضتِ الحديث معي رغم معاملتك الجميلة في أول مرة؟

لم تجب في البداية على سؤالي وكانت تبكي كثيرًا، وهي تردد:

- أرجوكَ لا تؤذِني، أنا لم أفعل لك شيئًا.

صرخت بوجهها وقلت:

- كل هذا الجفاء ولم تفعلي لي أي شيء؟! لقد لكمتِ قلبي بذلك الصدّ، بعد تلك الكلمات الجميلة في البداية، والهدية التي كانت بمثابة البلسم لجروحي، وبعدها تتجاهلينَني.

قالت لي باكية:

- المصادفة هي من جمعتني بك، وشكرتُك على مساعدتك، لم أفكر أن تكون بيني وبينك أيّة علاقة، أتمنى أن تفهم ذلك، أرجوك اتركني أريد العودة إلى أهلي، وأعدك أنني لن أقوم بإخبار أحد عمّا فعلتَ.

لم تكن إجابتها مقنعة لي، كنت مصرًا أن ما قامت به كان متعمّدًا، تريد أن تعذبني.

قلتُ له بعد أن شعرت ببعض من الغيظ:

- المسكينة.. لم تتعمد إيذاءَك، وما بدر منها كان طبيعيًا.

صرخ فواز بوجهي وقال:

- أنتِ لا تفهمين.. لقد لمست قلبي المحروم، ويا ليتها لم تلمسه، أعطتني ما كنت أبحث عنه، وفي نفس الوقت تريد أن تحرمني منه، هي تستحق ما فعلتُه بها، أنت لا تعرفين معنى الحرمان، المحروم من الحنان يتعلق بأي قلب يراه أمامه.

كان قلبي وقتها تتسارع ضرباته وقلت:

- ما الذي جرى بعد ذلك؟

أجابني..

- الشارع في الخارج مقلوب، وبالتحديد بعد ليلة من اختطاف أمل، سيارات الشرطة المنتشرة والجيران يبحثون بكل مكان، الجميع كان يفتش عن أمل، أنا أيضًا كنت أشاركهم

في عملية البحث عنها.

لم أتأثر البتة ولم يهتزّ لي طرف، كنت سعيدًا بوجود أمل معي، والنظر إليها، كنت أجلس بجانبها داخل العشه وهي أمامي تذبل كوردة بالية، إلى أن قامت في لحظة بفعل لم أكن أتوقعه، بعدما صعدت للسطح في يوم متوجهًا للعشه التي أحبسها به، صعقت عندما لم أرَها موجودة، درت في المكان كالمجنون أبحث عنها، وبعد دقائق وجدتها تختبئ خلف صهريج الماء الكبير، أمسكت بها وكانت تقاوم بقوة، حتى إنها جرحت وجهي بأظفارها، فجُنّ جنوني، لأطبق على رقبتها من دون أي شعور، كنت أعصر بلا رحمة، حتى سمعت صوت حشرجتها لينتابني ذلك الشعور الجميل الذي شعرت به عندما خنقت القط أول مرة.

صرخت هنا وقلت:

- هل قمتَ بقتلها؟

الرائد وليد:
17

قبل حلول المساء وبعد ليلتين من الهروب، وصلتني التقارير الخاصة بقضية فواز من زملائي الآخرين الذين سبق وأن طلبت منهم التحري عن كل ما يخصه، كانت تحتوي على حصر المنازل القريبة من قسم الشرطة، والتي من الممكن أن يكون مختبئًا في أحدها، المشكلة أن ما قرأته كان عاديًا جدًا لا جديدَ فيه، ولا أدري كيف لي أن أعرف مكانه، لأن الشرطة بحثت في كل مكان، وليس أمامنا سوى هذا الحل، الذي ربما يكون هو الأفضل.

دخل عليّ الملازم حمد وقال:

- لقد أتممتُ المهمة التي طلبتها مني، بعد بحثي بملف قضية ذلك الرجل العجوز الذي كان من بين ضحايا فواز.

لم أكن مركزًا بما يقوله، وفكري مشدوه من التقارير التي أمامي، أريد أن أعرف أي بيت من هذه البيوت قد تغيرت طبيعته خلال اليومين الماضيَن، لعلي أصل في النهاية لنتيجة مرضية، وقلت:

- لا شيء يثير الشكوك بالتقرير الذي أمامي، التحريات تؤكد أن كل شيء يسير بشكل طبيعي، الوقت ينفد منا ونحن إلى الآن لم نـجد طرف الخيط الذي سيوصلنا إليه، أكاد أجنّ!

قال لي حمد:

- هوّن عليك يا سيدي، نحتاج للقليل من الصبر والتدقيق.

قلت له بعد أن رميت الأوراق التي كانت بيدي:

- علينا الآن النزول للميدان، الوقت يضيع منا ونحن واقفون لم نتقدم ولا خطوة، يجب أن نفتش المنازل ونحقق مع أصحابها، علّ وعسى أن نجد طرف ذاك الخيط.

قال زميلي هنا وهو يمدُّ عددًا من الأوراق إليّ:

- سيدي بشأن التقرير الذي طلبته مني.

قلت له بتأفف:

- نعم نعم.. تقصد التقرير الخاص بذلك الرجل العجوز، اقرأه لي فلا مزاج لي للقراءة، عقلي عبارة عن بيت عنكبوت تتشابك فيه الكثير من الخيوط.

وضع عينيه على الأوراق وقال:

- التقرير الذي أمامي يقول: إن الجريمة تمت قبل ثلاثة أشهر من الآن، والمقتول رجل ستيني يعيش وحدَه، ويعاني من أمراض عدّة كما هو موضّح، لديه عدد من الأبناء من زيجات قديمة، وهو منفصل، وذكر بأن اسمه سليمان، والتقرير يقول إنّ الرجل لديه ماضٍ سيء، كونه كان مدمنًا على المخدرات، وملفه مليء بالكثير من قضايا النصب والاحتيال، ودخل السجن أكثر من مرة.

توقف زميلي عن الكلام، وهنا قلت:

- ما ذكرتَه لا يربط فواز بهذا الرجل، ومن المستحيل أن يكون فواز قد قتله من دون أي سبب، وكما نعرف القاتل الذي نتعامل معه لا يقتل بشكل عشوائي، والضحية بعيدة كل البعد عن النوع الذي يفضله.

تحدث زميلي وقال:

- الأمر يثير الحيرة بالفعل، والعجوز حياته مليئة أيضًا بالمغامرات الماجنة، والمخدرات والنساء، لا أدري كيف أربط هذا مع بعضه البعض.

فطنت لنقطة مهمة فقلت:

- فواز لا يقتل عبثًا، للتو قلتَ: "النساء"، والرابط هنا واضح، ولا يحتاج منا كل هذا الذكاء.

قال لي زميلي مستفهمًا:

- ما الذي تقصده سيدي؟

نهضت من مكاني وقلت:

- أتذكر حديث أخ فواز؟ ألم يذكر أن والدتَه كانت على علاقة برجل؟ وعلى ما أعتقد أنه هو الذي قام فواز بقتله.

رأيتُ علامات الاندهاش قد بانت على وجه زميلي وصاحبَها بقوله مؤكّدًا:

- نعم.. بالضبط.. هذا هو التفسير الوحيد المنطقي لما قام به فواز.

وأكملت كلامي:

- العمر مقارب جدًا لعمر والدته، أضف إلى ذلك تاريخَ الرجل المليء بالغموض، أي أن الضحيةَ كان ضمنَ أهدافِه، واستطاع الوصول إليه بسهولة، فواز يقتل النساء الخائنات كما كنتُ أتوقّع، وهذا الرجل هو مَن سبّب تلك العقدةَ لفواز، لأنه استباح شرف والده، والآن انتقم منه.

قال زميلي حمد هنا:

- ألا تعتقد أن الضحية القادمة هي والدته؟ هذا النوع لا تردعه أيّةُ أعراف، كونه متجردًا من الأحاسيس والمشاعر، ويريد الانتقام من كل شيء لوّث طفولتَه.

قلت له بشرود:

- لا قواعد واضحة مع هذا المجنون، وجميع الافتراضات متاحة، من الممكن أن تكون والدته هدفَ، اسمَع.. اطلب من أحد أفراد المباحث أن يكون موجودًا قريبًا من منزل والدة فواز لمراقبته، فهذا الاحتمال قائم.

هز زميله رأسَه موافقًا، رن هاتفي في تلك اللحظة، كانت علياء هي من تتصل بي، لم أجبها، حيث كنتُ في قمة انشغالي، وأعرف زوجتي لا يأتي منها سوى اللّوم والثرثرة الفارغة، ثم قلت:

- علينا الآن التوجه للمنطقة القريبة والمحيطة بقسم الشرطة، التقاريرُ التي أمامي تؤكد أن الأوضاع طبيعية جدًا،

وحدسي يقول لي إن فواز لم يفارق تلك الأرجاء.

قاطعني زميلي وقال:

- هل تريد أن نقوم بعملية تفتيش عشوائية للبيوت القريبة؟

قلت وأنا أرتدي قبعتي:

- كل الاحتمالات مفتوحة، أريد في البداية أن أقوم بجولة تفتيشيّة في المنطقة.

وعندما حاولتُ التحرُّكَ شعرتُ بدوار في رأسي واستندت على المكتب القريب، وفي الوقت نفسه رنّ الهاتف مرة أخرى، لا تزال زوجتي ترن بشكل جنونيّ، انتبه زميلي وقال:

- سيدي أنت تحتاج للاسترخاء، اذهب إلى منزلك الآن، وخُذ قِسطًا من الراحة لساعتَين على الأقل.

رددت عليه:

- الوقت ضيق ويُداهمنا، لا مجال لذلك، كل دقيقة تمر علينا تُعطي فوازًا فرصةً أكبر للهرب، ومن الممكن أن نخسر جميع الاحتمالات التي وضعناها.

توجّه زميلي ناحيتي ليحاول أن يساعدني على الجلوس:

- سيدي أنت متعب، وعليك أن ترتاح، كل ما أطلبه منك ساعتَين أوثلاثًا تذهب بها إلى منزلك، وكما أرى أن هاتفك لم يتوقف عن الرنين لعل زوجتك تطلبك لأمر مهم، اذهب الآن وأنا سأقوم بالمهمة التي تريدها، وبعد ثلاث ساعات من الآن

انضمّ إلينا، أنت تعلم أن عملنا يحتاج لتركيز كبير في مثل هذه القضية المعقدة.

قلت له:

- إن فكرتْ بالراحة، فسأرتاح هنا في الغرفة المخصصة لنا، لا أريد الذهاب إلى المنزل، أنا فقط مرهق وأحتاج لشيء يُعيد إليّ النشاط والحيوية، فالوقت يداهمنا ولا مجال لتضييعه بالنوم.

ابتسم زميلي وقال:

- لن ترتاح في هذا المكان، وكلانا يعلم ذلك، بسبب الحركة وكثرت الرجال الذين يعملون هنا، أما عن موضوع تجديد نشاطك فيجب عليك الذهاب إلى منزلك القريب وأخذ حمّامٍ باردٍ ينعش روحك، نحن نحتاج لعقلك في الساعات القادمة.

لم أجد أي مفرٌ لقد حاصرني، وتوجهت إلى سيارتي رغمًا عني.

فواز:
18

- كادت أن تموت بين يدي يا فجر، لولا أنني انتبهت لِمَا أفعله بآخر لحظة، أبعدتُ يديّ عنها، تراجعتْ إلى الوراء وهي تكحُّ بشدة، وعيناها زائغتان، تقدمت نحوها وسحبتُها بعنف ناحية العشة، وبعد أن شعرت أن روحها رجعت إلى جسدها، راحت تبكي وتطلب مني تركَها، لم أكن أبالي بما تقول أو تتصرف كان همي منصبًا على الاحتفاظ بها أكبرَ قدرٍ ممكن.

قالت فجر بوجه ممتعض:

- وما الذي جرى بعد ذلك؟ المسكينة لا ذنب لها!

ابتسمت بلا مبالاة وقلت:

- لولا شقيقي الأصغر لكانت أمل محجوزةً معي إلى هذا اليوم، أخي لم يتجاوز السابعة من عمره، صعد ذات يوم للسطح، وانتبه لوجود أمل داخل العش بحال يُرثى لها.

لم يتردد دقيقةً وانطلق مسرعًا يخبر أبي بما رآه في هذا المكان، والذي بدوره صعد إلى الأعلى، وبعدها أخرج أمل من العشة وسط دهشته لما رآه، وحكَتْ له ما حدث بالتفصيل.

أذكر جيدًا وجه أبي عندما واجهني بما فعلتُ، راح يصرخ عليّ كالمجنون، ويسألني عن الأسباب التي دفعتني لفعل هذا الفعل الغريب، كنت صامتًا وبارد الأعصاب، ولم أجب على سؤاله، حتى قام بصفعي بغضب ودفعِي وضربِي بأي

شيء يراه أمامَه ولم يرحمني، وفي نفس الوقت لم أدافع عن نفسي، وسؤاله يتكرر عن الأسباب التي جعلتني أفعل ذلك العملَ المُشين لأجيبه:

- كنت أبحث عمّا فقدته في هذا البيت، ووجدته بمعاملة أمل، كنت أرى الراحة والسكون بوجهها، ولم أستطع كبحَ جماح رغبتي التي كانت تدفعني لكي أراها بشكل يومي، لقد كانت تصدني، فلم أجد سبيلًا إلّا هذا الحل.

جلس والدي على الكرسي متعبًا ومصدومًا مما فعلتْ، وبعد طقوس الضرب واللكم التي قام بها علي، كان يردد أين كنت غائبًا طوال الوقت؟ لماذا لم أكن أشعر بك؟

وبعدها أخذ والدي البنت إلى مركز الشرطة، وأبلغهم عن كل ما حدث بالتفصيل.

قالت فجر:

- لا أدري كيف هي مشاعرك في هذا الوقت؟ ولكنني متأكدة بأن أي ولد بعمرك لا بد أن يكون خائفًا ونادمًا على ما فعل.

ابتسمتُ بسخرية وقلت:

- لا شيء مما ذكرتِه شعرتُ به لحظتها، كنت باردًا ومنتظرًا حضورَ الشرطة بأيّة لحظة، وهذا ما حدث بالفعل، الشرطة أتت وألقت القبض علي وسط ذهول الناس الذين كانوا غير مصدقين لما سمعوه، لم أنكر أيًا من التهم التي وُجّهَت إلي، وطبعًا بحكم صغر سني تم تخفيف الحكم علي، وتم

احتجازي في سجن الأحداث لمدة خمس سنوات، لأدخل هنا مرحلة جديدة من الحياة المبعثرة.

سكتُّ قليلًا وأنا أنظر إلى السقف، أقلب برأسي الأحداثَ التي مررتُ بها بتلك الفترة، قطعَت فجر لحظات شرودي وقالت:

- هل حدث لك شيء غريب في السجن؟

أجبتها:

- أيام الحبس كانت عادية جدًا، ولا يوجد فيها ما يثير الاهتمام، إلا بعض التجارب التي خضتُها مع الأولاد المسجونين معي، واكتسبتُ خبرات جديدة، فأغلب من يوجد في هذا المكان كانوا ضحايا لأسرهم أومجتمعهم نتيجة الإهمال، أو المشاكل التي تحدث ما بين الوالدَين، والتي تنتج لك نموذجًا بشعًا من جيل المستقبل، أقمت في سجن الأحداث أربع سنوات فقط لأخرج وأجد في منزلي أشياء جديدة قد تغيرت، لعل أبرزها حالُ والدي الذي انقلب رأسًا على عقب، بسبب الجريمة التي قمتُ بها بحق أمل، ومن التغييرات أن والدي باع المنزل في تلك المنطقة واشترى لنا مسكنًا جديدًا، لأنه يرى أن ما حدث أشبه بالفضيحة، وكلام الناس لم يرحمه.

قالت لي فجر:

- لحظة! طوال فترة حبسك في الأحداث هل كان يزورك أحد؟

رددت عليها:

- لم يقم أحد بزيارتي عدا والدتي، التي كانت تحاول تخفيف وطأة الحبس، لم أرَ أبي، أو أي شخص آخر، رغم أنني في البداية لم أتقبل وجودها بسبب ما كانت تقوم به من أفعال سيئة وخيانتها لوالدي، لكن مع مرور الوقت بدأت بتقبُّلها كونها الوحيدة التي تتواصل معي وتطمأنُّ على أحوالي.

قطع حديثي رنين هاتف فجر مرة أخرى، اللعين جابر لا يزال يواصل اتصالاته المتكررة بها، انتبهت هي الأخرى له وقالت:

- أكمل حديثك، لا تبالِ بهذا الأحمق.

أحسست وقتها أن مشاعري قد تغيرت، وملامحي أصبحت أكثر حدّة، وقلت:

- بعد خروجي من السجن، كنت أكثر نضجًا أبحث عن نفسي، وبداخلي الرغبة في تغيير حياتي والنظر إلى مستقبلي، ويا للأسف لم أجد أمامي سوى الإهمال والفوضى، المجتمع لم يتقبلني أبدًا، خاصة الأشخاص الذين يعرفونني جيدًا، كان كل شيء باهتًا بلا لون، حتى والدي لم يكن لديه أي رغبة بالحديث معي، أهمل المنزلَ وأمي، وبات بعيدًا عنا، أذكر جيدًا عدد الشكاوى التي أتلاقها من والدتي بسببه، كانت تملأ رأسي بالكثير على والدي، إلى أن جاءتني في يوم من الأيام باكيةً وهي وتقول أنها اكتشفت أن والدي يرغب في

الزواج من أخرى، تردّدُ تلك الكلمات التي لم أصدقها، عن تضحيتها بالكثير من أجله، وفي المقابل يكافئها بنكرانه ذلك، وأنها لا تستحق هذه المعاملة.

لم أستغرب فِعلتَه، فهو اكتشف زيف حبّ أمي له، وكشف حقيقتها وبراعتها في التمثيل، كنت صامتًا في البداية أستمع لما تقوله، وأذكر جيدًا أنني تركتها ورحلت عنها وسط دهشتها لما قمتُ به، الأمر هذا تكرر كثيرًا، إلى أن تأكدت أنه تزوج بالفعل، هنا انهارت، أذكر جيدًا ليلتها كانت تبكي بحرقة وتحتضنني، لا أدري لماذا هذا الحضن كان له تأثير كبير علي، فهذه هي المرة الأولى التي أشعر بها بدفئ حضنها واقترابها مني، كأنها تستغيث بي، شحنتني على والدي كثيرًا وكنت مستعدًا لفعل أي شيء من أجل الانتقام لها.

وفي يوم زارنا أبي في المنزل، لم يكن مباليًا أبدًا، دخل وألقى التحية، وجلس في غرفة المعيشة يتحدث مع أخي الأصغر مني، توجهت إليه وقلت له بشكل مباشر:

- والدتي لا تستحق هذا النكران منك، والذنب الذي قمتَ به كبير.

كان ينظر إلي باستغراب ثم قال:

- لم يبقَ سوى المجرمين ليعلموني الصح والخطأ، اترك عنك هذا كله، أنت مغيّبٌ ولا تعلم ما يدور حولك، وتأكد أن ما قمتُ به هو الصواب.

وقتها كانت والدتي واقفةً وعلى ملامحها الحزن، اقتربت

مني وقالت:

- ألم أقل لك إن والدك يتصرّف بغرابة، وإن ما قام به على غير إرادته، زوجته الجديدة هي من قامت بسحره.

نهض والدي من مكانه وقال صارخا:

- يكفي تمثيلًا أيتها الـــ...، لا أريد التحدث عن أفعالك المشينة أمام الأولاد، الله أمر بالستر.

ثم توجه إليها وقام بدفعها بقوة.

نظرت إلي والدتي وقالت:

- انظر.. لم يكفِه نكران الجميل، والآن يتهمني بالزّيف، ويحاول ضربي.

كنت لحظتها أتنفس بسرعة كبيرة، وعروقي تغلي من الداخل تقدمت إليه ثم أبعدته عنها، حاولَ النهوض، لكني قفزت عليه ثم قمت بفعلتي تلك وأطبقت على رقبته بيدي، كنت أنشطَ منه بسبب عامل السن، والدي كان مندهشًا من ردة فعلي تلك، ويحاول إبعادي عن رقبته، احمرّ وجهُه وكأنه غزفُ ديكٍ، هنا سمعتُ صوت الحشرجة الذي يُشعرُني بالنشوة، كنت لا أريد الابتعاد عنه إلا بعد أن أراه جثةً هامدة، وقبل أن أتمّ فِعلتي تلقّيتُ ضربة قويةً على رأسي، ليدفعَني أبي لأسقط على الأرض، كان والدي يضع يدَيه على رقبته وهو يسعل بقوة، وأنا أضع يدي على رأسي بسبب الألم الذي أحسست به، قال أبي:

- وصل بك الأمر لمحاولة قتلي؟! أي مجنون كنتُ أعيشُ معه في هذا المنزل؟! كل هذا بسببك أيتها الملعونة، انظري لتربيتك وما أوصلتِنا إليه، وأنت أيها القذر على ما يبدو أنك اشتقت للسجن كثيرًا.

بعدها تركنا وخرج يتبعه أخي الذي كان يترجى والدي أن لا يقوم بأي فعل، كانت الدماء تسيل من أعلى رأسي، وجدت أمي بجانبي باكيةً، وهي تحاول أن تخفف عني هذه الآلام، احتضنتني، وما أجملَ حضنها! تبخر ذلك الألم بمجرد احتوائها لي، وبعد دقائق أبعدتُها وقلتُ:

- لن أرتاح حتى أقتل هذا الوغد، سآخذ حقك منه.

هنا قالت لي والدتي:

- اتركه.. فأنا لا أريد بهذه الحياة سوى أن أراك بجانبي.

دخل أخي وهو ينظر إلينا بغضب وقال:

- إلى متى يا أمي ستقومين بأفعالك تلك؟ انظري إلى ما وصلنا إليه، كاد فواز أن يقتل أبي بسبب تحريضك له.

لم تجب أمي على كلام أخي، قلت له وقد احمر وجهي غيظًا:

- لماذا لم تتركني أقتله؟ انظر ماذا فعل بوالدتك.

قال لي بعيون يملأها اليأس:

- أنت بالذات لا أريد أن أسمع صوتك، يكفي ما جاءنا منك،

لا تعرف كيف تتصرف، أتمنى أن لا يقوم أبي بتقديم شكوى ضدك.

تركنا ورحلَ، كنتُ حينها لا أركز نظري سوى بعيون والدتي، وهي تقول:

- لا تصدق ما يقوله والذك عني، إنه يكذب، يريد تبرير فعلته، يحاول أن يزرع في رأسكم فكرة أنني لم أضن عِشرَته.

لم أفكر سوى بذلك الاحتواء الذي قامت به، كنت عطشًا والآن سقتني من يديها كل الحنان الذي فقدتُه بتلك السنين الماضية، رغم أنني كنت أعلم وعلى يقين من أنها كانت تكذب ولا تقول الحقيقة.

فجر:
19

كنت متأكدة أنني أتحدث مع شخص في داخله وحش غير مروّض، وبأي لحظة سينقضُّ علي ويقوم بقتلي، ولا أدري ما هي الطريقة للخلاص منه، لا يزال جابر يواصل اتصالَه عليه بشكل مفرط، قال لي:

- أجيبي على هذا المعلون اللحوح وأخبريه أن علاقتكم قد انتهت.

لم أجد أمامي أي مفرٌ، أجبت على الاتصال، وأول كلمة سمعتُها من جابر:

- لِمَ هذا العناد يا فجر؟ أريد مقابلتك لمناقشة وضعنا، حتى نصل لنقطة التفاهم في ما بيننا، أحتاج الجلوسَ معك.

قلت له متصنِّعة الغضب:

- ألم أقل لك إن الذي يربطنا ببعضنا البعض قد انتهى.

رد علي بتودد:

- هي ساعة واحدة فقط، هذا كل ما أريده، أرجوك أعطِني فرصة لشرح موقفي، ولك القرار بعد ذلك، سآتي إليك بعد ساعتين على أقل تقدير.

صمتُّ لثوانٍ.. لا أدري كيف أجيبه، وتفكيري كان منصبًّا على كيفيّة إعلامِه بأنني في مأزق حقيقي، وكانت إجابتي:

- حسنًا.

أغلق الهاتف بعدها، وتظاهرتُ أمام فواز أنني لا زلت أتحدث معه، وقلت:

- اسمع.. إذا رأيت رقمك يتصل علي مرة أخرى لن أجد أمامي سوى إبلاغ الشرطة، وبعدها أغلقتُ الهاتف.

لاحت على وجه فواز ملامحُ السرور، كأنه فرح بما جرى، وقلت:

- هذا الأحمق لا يفهم أنني لا أريده.

كنت متوجّسةً، أنظر لعينيه وأتمنى أن حيلتي تلك قد انطلت عليه، قلت هنا محاولةً تغيير دفّة الحديث.

- فواز أنت تعلم أن والدتي ترقد في المستشفى، وحبسي بتلك الطريقة يثير الشكوك، أريد أن أذهب إلى والدتي للاطمئنان عليها.

نهض من مكانه، وقال بحدّة:

- فكرة خروجك من هذا المنزل مرفوضة بتاتًا، إلى أن تهدأ الأمور وبعدها لك الحق بالخروج.

كنت مستاءةً من ردة فعله، وقلت:

- ما الحلُّ برأيك؟

قال لي:

- لا ضرر من الاتصال بالمستشفى والسؤال عن والدتك.

هنا قلت:

- وهل تعتقد أن هذا الاتصال لا يثير الشكوك؟

أجابني:

- نعم.. أخبريهم أنك تعانين من مرض ما أو الزكام، ولا تستطيعين زيارتها.

لم أجد أمامي سوى الانصياع إلى أوامره، وبالفعل قمت بالاتصال على المستشفى والسؤال عنها.

نهض من مكانه يتأمل صورتي المعلّقة على الحائط بحبٍّ، وهو يقول:

- تشبهينها كثيرًا يا فجر.

لم أفهم ما يقصد وقلت:

- أشبه مَن؟ لم أفهم قصدك يا فواز؟

جلس على الأرض وقال:

- تشبهين إسراء كثيرًا، الفتاة التي حطّمت ما تبقى من قلبي.

فهمت هنا ما يقصد:

- نعم كنتَ تردّدُ اسمها منذ اقتحامك المكان، هل من المعقول أنني أشبهها إلى هذا الحد؟

أجابني قائلًا:

- لا تلوميني.. كنت أرى جميع النساء إسراء، ولا أتمنى أن أرى غيرها.

وضعتُ هاتفي بجانبي وقلت:

- وما قصة تلك الفتاة التي سلبَت روحك؟

أجابني:

- إسراء هي الفتاة التي أحرقت الجزء الوحيد الحي في قلبي، الذي أصبح متحجرًا لا يعرف الرحمة، وجعلتني أكره جميع النساء، وفي نفس الوقت أحبُهم، كما قلت لك بعد أن انتهت حادثة أبي، لم يكن أمامي أيُ شيء أفعله سوى التسكُع من مكان إلى آخر، شاب ضائع لا يدري ما هو مستقبلُه، لا شهادة، ولا أملك أيّة هِواية، أتجول في تلك المجمعات التجارية، معتمدًا على والدتي بكل شيء.

سألته وقلت:

- وكيف التقيت بها؟

رد على سؤالي:

- في مناسبة العيد الوطني للبلاد، كانت المجمعات تعجُ بالناس، وكل شيء كان يتزين بالأعلام واللافتات الوطنية، كنت واقفًا أمام كشك صغير لبيع العصائر والمرطبات وبعض الحلويات، كانت تقف بجانبي ولم أنتبه لها إلا بعدما سقط شيء من حقيبتها، مددتُ يدي لكي آخذ ما سقط منها، لأكتشف أنها حلوى على شكل مصاصة، استغربت كثيرًا،

التاريخ يُعيد نفسَه مجددًا، تذكرت هنا أمل وموقفي الأول معاها، نهضتْ لأجدها أمامي بكامل أناقتها، والابتسامة تعلو مُحيّاها، شكرتني بعد أن أعطيتها ما سقط منها، لا أعرف ما الذي حصل لي حينها، كأن شيئًا أحيا بداخلي ذكرى قديمة، تبعثها بلا شعور، كنت مسيّرًا ولست مخيّرًا، توجهت إلى سيارتها، وقفت ولم أكن أعلم ما أفعل، حتى سمعت صوتَها وهي تقول:

- أعطِني رقم هاتفك بسرعة، لا أريد لأي أحد أن ينتبه لنا، يبدو أنك غشيم لا تُجيد التصرف في مثل هذه الأمور.

لا أنكر أنني كنت مرتبكًا كثيرًا، أعطيتُها رقم هاتفي وأنا أتلعثم بالكلام، والابتسامة لم تكن تفارق وجهها الجميل، ابتعدت وكنت أراقبها من بعيد وقلت في نفسي:

- هل انتهى كل شيء، هل ستذهب ولن تعود، كما فعل السابقون؟

رجعت إلى منزلي أقلب حساباتي برأسي، وجهها الجميل لم يفارق عقلي، سلبت قلبي وتفكيري، وفي اليوم التالي اتصلَت، لأسمع صوتها الرقيق والناعم الذي جعلني متيّمًا بها، لا أعلم كمية السعادة التي اجتاحت قلبي يومها، ومن ليلتها عرفتُ اسمها، وبدأت علاقتنا تكبر يومًا بعد يوم.

كانت كالطفلة التي تتدلّل على أبيها، أنفذ ما تريد بهدوء ومن دون تردد، استمرت علاقتي بها سنة كاملة، وكل شيء كان يسير على ما يرام، شعرت أنها قامت بترتيب نفسي من

الداخل، كنت أهتم بنفسي كي أظهر أمامها بأفضل صورة، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي قلب حياتي كلها رأسًا على عَقِب، عندما رأيتها في أحد المجمعات مصادفةً تجلس مع شاب، وكانت بغاية سعادتها، فجأةً الزمن توقف، لم أشعر إلا وأنا أصرخ بوجهها قائلًا:

- من هذا الذي تجلسين معه؟

كان الارتباك واضحًا على وجهها، بينما ذلك الرجل الذي يجلس معها قال:

- من هذا الذي يتحدث معك بهذه الطريقة؟

صرخت بوجهه قائلًا:

- من أنت لكي تجلس معها في هذا المكان؟

كان الشاب الذي في جانبها ذا بِنية جسمانية ضخمة، وبعد جدال طويل لم أجد نفسي إلا ويدي تتعلق برقبته كما كنت أفعل في السابق، لكن هذه المرة الغلبةُ لم تكن لي بسبب الفارق الكبير بيني وبينه، انتزع يدي من رقبته بسهولة، ثم راح يوجِّه لي اللكمات والضربَ بقبضته القوية، كنت بين يديه كخِرقة بالية، لم أُفِق إلا وأنا في المستشفى تحاوطني الأسلاك وأصوات الأجهزة الطبية، وكما هي العادة لم أجد بجانبي سوى والدتي، وأول جملة نطقتْها كانت:

- أين إسراء؟

لم تجب على كلامي، رغم أنني كررت سؤالي أكثر من مرة،

ولم أسمع من أمي سوى:

- الحمد لله على سلامتك، شعرت للحظات أنني سأفقدك بسبب الغيبوبة الطويلة التي استمرّت أكثرَ من ثلاثة شهور.

لم أفقَه ما كانت تقوله، رغم أنني كنت لا أتذكر سوى ذلك الموقف الذي لا يزال ثقلُه على روحي، لأسمع صوت أخي الذي تحدث:

- الحمد لله أنك أفقت أخيرًا.. طالت غيبوبتك يا أخي.

الذي فهمتُه أنني كنت بغيبوبة لمدة تجاوزت ثلاثة أشهر تقريبًا، بعد الضربات التي كادت أن تكون مميتةً من ذلك الرجل الذي كان يجلس مع أسراء، بعد أن أصابني بارتجاج قوي في المخ، وعلى حسب ما فهمت كدت أن أموت على يد ذلك الضخم لولا تدخُّل الناس، وقتَها لم أفكر بأي أحد سوى إسراء، مرّ يوم على إفاقتي، كنت طوال الوقت أسأل أخي:

- هل زارتني فتاة تدعى إسراء؟

وأخي يجيبني:

- لم يكن معك أحد طوال الفترة الماضية سوانا، أنت تعلم أن الجميع يتحاشاك.

لم أكفّ عن أسئلتي عنها، والتي كانت تتغير بطرق مختلفة:

خرجت بعد يومين من إفاقتي، وكنت بالكاد أسير على قدميّ بسبب رقودي على سرير المستشفى لمدة طويلة.

قلت له هنا:

- ألم تقم بالاتصال بها؟

أجابني:

- فعلت ذلك في بداية الأمر، كانت لا ترد على اتصالاتي ورسائلي، وبعدها أصبح هاتفُها مغلقًا طوال الوقت.

كنت في حيرة من أمري، رغم أنني على يقين من أنها كانت تخونني مع ذلك الضخم، إلا أنني كنت مستعدًا لمسامحتها، فقط أريد أن أسمع منها أي عذر.

غابت عني فترة طويلة، ولم يكن أمامي سوى أن أبحث عنها، حتى ذلك اليوم الذي جاءني اتصال غريب من امرأة تقول:

- أعلم جيدًا أنك لا تعرفني، وكل ما أريد أن أقولَه لك: ابتعد عن إسراء، هذه الفتاة لا تصلح لك.

صرخت بها وطلبت منها التعريف عن نفسها، لم تجب على تساؤلي وأكملَت:

- ألا يكفي ما حصل لك؟ جلوسها مع ذلك الشاب في المجمع، ألا يكفي كي تفهم أنها إنسانة لعوب؟ استغلّت حبك وسذاجتك، كانت تستغلك بطلباتها، جعلتك كالبنك المتنقّل الذي تسحبُ منه الأموال متى شاءت، وتجلب لها الهدايا بحُجج مضحكة، وفي الوقت نفسه هي تهيم بعشق ذلك الشاب الذي ضربك في المجمّع.

عقلي كان رافضًا لكلماتها، رغم أنها كانت تملك معلوماتٍ دقيقةً عن علاقتي بها.

مَن هذه المرأة الجديدة التي دخلت حياتي بلا استئذان؟

بعد هذا الاتصال أصبحت كالمجنون، أبحث عنها في كل مكان، اختفت تمامًا، كأنّ الأرض ابتلعَتها، ولم يكن يربطني بها شيء سوى رقم هاتفها، أذ كانت أغلب لقاءاتنا في المقاهي والمجمّعات، وغير ذلك ليس لدي أيّ معلومات عنها، كنت أظن أنها ستبقى معي طوال حياتي.

أصابني الوهن والتعب، نومي كان قليلًا، الطعام يكاد لا يدخل جوفي، أصبح كل شيء مرًا، والدنيا سوداء بوجهي، لا أفكّر ولا أرى سوى إسراء، كنت أثيرُ المشاكل على أتفه الأسباب.

القدر له طرقٌ في كشف الحقائق المستورة، بعد فترة ليست ببعيدة عن مشكلتي في المجمّع، كنت أقود سيارتي وصادفتني الإشارةُ الضوئية الحمراء، توقفت عندها لألتفت وأجد إسراء في المركبة التي بجانبي، شعرت أن روحي قد انتعشت من جديد، نعم هي إسراء بشحمها ولحمها عيني لا تخطئها، والغريب في الأمر أن هناك شخصًا لا أعرفه يجلس بجانبها، كدت أن أترجّل من سيارتي وأذهب إليها، فكرت قليلًا وفضّلت أن أتبع المركبة.

وهذا ما حصل، تبعتهما حتى توقفَت السيارة أمام أحد المجمعات المشهورة، سرتُ خلفَهم لأجدها تمسك بيد

ذلك الرجل ويذهبان إلى أحد المطاعم، جلست في أحدى الطاولات القريبة منهم، ولم تلاحظ إسراء وجودي، وطبعًا طوال جلوسهم كانوا يضحكون ويتسامرون، كان الوحش الذي بداخلي يريد أن ينقضّ عليهم، ولكن في هذه المرة كنت أكبح جِماحه، لا أريد أن أعيدَ غلطتي الأولى، عقلي يكاد يُجن، وبعد فترة بسيطة نهضت من مكانها، فتبعتها، كانت تسير ناحية الحمام، انتظرتها وبعد خروجها، كلّمتها:

- إسراء! بهذه السهولة نسيت فواز؟

نظرت لي وكانت متفاجئة من وجودي ثم مضت وكأنها لا تعرفني، أكملت حديثي:

- هانَت عليك العِشرةُ ونسيتِ حبّنا؟ لم تُكلّفي نفسَك ولو بالاتصال للاطمئنان علي؟

بعد تلك الجملة قالت:

- مَن إسراء التي تتحدّث عنها؟ على ما أظن أنك قد أخطأت.

رددتُ عليها:

- كيف لي أن أنسى ذلك الوجهَ الذي كنت أحبُ يا إسراء؟

ردّت بحدة شديدة:

- اسمع يا رجل، أنا لا أعرفك ولا تربطني بك أيّةُ صِلة، دعني وشأني ولا تُحرجني في هذا المكان الذي يعجُ بالناس فأنا فتاة على وشك الزواج.

جنّ جنوني بعد سماع تلك الجملة، وقلت:

- عن أيّة خطوبة تتحدثين؟ ومن هذا الذي تجلسين معه في ذلك المطعم، أنت تكذبين وتُنكرينني وتنكرين نفسَك.

صرخت علي قائلة:

- إذا لم تتوقف عن هذه الترهات، سأطلب لك الشرطة، أرجوك ابتعد عني، لا أريد الفضائح.

تركَتني وذهبَت، غير مُبالية بكلماتي.. قلت بعدها:

- أرجوك أمهليني خمس دقائق، أريد أن أفهم سبب تغيُّرك عليّ.

بان على ملامحها عدم الرضا:

مدّت يدها إلى حقيبتها ثم أخرجت هاتفَها وتحدّثت قليلًا به ثم أغلقته وقالت:

- الآن سيأتي من سيتصرّف معك، ويوقفُك عند حدّك.

كنت مندهشًا من ردّة فعلها وقلت:

- هذه المرة لن أخسرك كما خسرتُ سابقًا.

قالت لي:

- يا رجل يبدو أنك تعاني من مرض نفسي.

أجبتُها وقلت:

- نعم أنا مريض بك، ولن أتخلّى عنك.

مددت يدي أريد الإمساك بها، وفي أثناء ذلك سمعت صوتًا قادمًا من بعيد:

- إياك والاقترابَ منها! مَن هذا الرجل هل تعرفينه؟

كان الشخص الذي معها هو من صرخ عليّ، تقدم ناحيتي ودَفعني بعيدًا، نظر إليها.. وقال:

- هل قام بإيذائك، أوالتّهجُمِ عليك؟

أجابَتْه:

- لا.. على ما أظن أنه أحد المتحرّشين المرضى الذين نراهم يتسكّعون في المجمّعات، وطوال الوقت كان ينادي عليّ باسم غير اسمي.

كنت واقفًا على الأرض أحاول النهوض، وقبل أن أقف على قدمي، أتى عدد من أفراد الشرطة، لا أعلم من أين ظهروا بسرعة، قال الرجل الذي يرافق إسراء:

- اقبضوا على هذا المجنون المتحرّش، إنه يتعدّى على خطيبتي.

تقدم شرطيان نحوي، ثم قاما بالإمساك بي، وطلبا مني مرافقتَهم إلى غرفة الشرطة الموجودة في المجمّع.

لم أُبدِ أي اعتراض ورافقتهم، كان الشرطي مهذّبًا معي، وطلب مني شرح ما حدث:

- علّلت له الموقف، بأنني كنت أظن أن هذه الفتاة صديقةً

قديمة، وأعتذر عمّا قمتُ به.

تركني الشرطي بعد أن كتب علي تعهدًا بعدم التعرض، خرجت من المجمّع ما بين مصدق لِمَا حدث ومكذّبٍ، أريد أن أرى الحقيقة التي تعقّدت في رأسي، بهذه السهولة تهجرني إسراء، هل بالفعل كانت تكذب وأنّ حبنا مجرد مرحلة في حياتها، أي حقيقة مُرّة أتعامل معها.

بقيتُ حبيس غرفتي، لا أعرف كيف أتصرّف، أحاول طردَها من رأسي، لكن من دون أي تقدم، كانت تسيطر على كل شيء بداخلي، وبعد يومين من هذه الحادثة جاءني اتصال من نفس الفتاة التي كلّمتني سابقًا:

- اسمع جيدًا، أنا لك من الناصحين، انسَ إسراء واعتبر أنها لم تكن موجودة بحياتك، هي الآن تعيش حياة جديدة، لا تفكر بها، كما قلت لك أنت كنتَ مجرّد علاقة عابرة للتسلية وقضاء الوقت، أيها المغفّل إنها كانت على علاقة مع عددٍ من الشبّان الذين تلعب بهم كما فعلتَ بك، لا تفكر بها كثيرًا وانسَها.

لم تُعطني أيّة فرصة كالعادة للرد على كلامها، وأغلقَت الهاتف بوجهي، إنها الصدمةُ المؤلمة التي جعلتني غيرَ مدرك لِمَا يحدث، حالتي النفسية قد تفاقمت، وازدادت سوءًا، كنت أقوم بالحديث مع أيّة فتاة كانت تشبه إسراء، سواء في الأسواق أو في الأماكن العامة، وهذا الشيء كان يجلب لي الكثير من المشاكل، وأدخل في عراك وشِجارات باستمرار،

الشرطة اعتادت علي، وذات يوم قمتُ بضرب أحد الفتيات التي كانت تشبهُها، لتقوم بتقديم شكوى ضدي، وعلى إثرِها تم تحويلي إلى النيابة، والتي بدورها قامت بإرسالي إلى مستشفى الطب النفسي لتشخيص حالتي، وتم التأكيد بأنني أعاني من مرض نفسي اسمه "التعلُّق"، وحالة من إنكار الواقع، بقيت هناك فترة طويلة أتعالج مما أنا فيه، وبعدها خرجتُ وكان الجميع يظنُّ أنني قد شُفِيت، لكن لم يعلموا أن الوحش الذي في داخلي بات جاهزًا وأكثر نُضجًا للانقضاض على ضحاياه من دون أيّة رحمة.

علياء:

20

ألقى السلام من بعد دخوله، ثم قام بخلع ملابس العمل، لم يتحدث كثيرًا، سوى أنه سأل عن الأولاد، كنتُ صامتة رغم غليان الدم الذي ينهش عروقي من الداخل، هذا الزوج غير مبالٍ، جُلُّ وقته يقضيه خارج المنزل، بينما الشكوك والهواجسُ لا تُبارح مخيلتي، إن العمل مجرّد حُجة حتى يقضي أغلب وقته معها، قطع وصلةَ تفكيري تلك حينما قال:

- أنا هنا لآخذ حمامًا باردًا يُنعشني كي أستطيع مواصلة عملي، فأرجوك لا أريد افتعال المشاجرات معك، عقلي مشغول بالقضية أكثر من أي شيء آخر.

سكتُّ ولم ينطق بعدها بأيّة كلمة، ثم قام متوجهًا إلى دورة المياه.

لم أجب على كلامه وفضّلت الصمت، رغم غضبي الشديد مما قاله، تمنيت لو أنه احتضنني أو سأل عن أحوالي، أخذتُ هاتفي ثم اتصلتُ على صديقتي، أريد تفريغ كل ما فيّ مِن ضيق:

- كعادته عاد إلى الفندق.. أقصد المنزل، وذهب للاغتسال؛ لمواصلة عمله كما يدّعي.

سمعت ضحكات صديقتي من خلف الهاتف وهي تقول:

- هذا ما كنت تريدينه وتحلمين به، رجل بمنصب رفيع، لم

تعطِ نفسَك فرصةً في اختيار ما هو أفضل، رغم أن هناك الكثير من الرجال الذين يتمنّون إشارة منك، كنت تهتمّين بالمظاهر وتنسَين الجَوهَر.

قلت لها بنفاد صبر:

- لا أدري لماذا دائمًا تأخذينني بالحديث معك إلى الماضي الذي أتوق لنسيانه، أرجوك.. أريحي قلبي، هل تعتقدين أن وليدًا لديه علاقة أخرى؟

قالت لي بسخرية:

- نعم لديه ثلاث زوجاتٍ غيرك، وكل ليلة يقضيها مع واحدة منهنّ.

أجبتُها بعصبية:

- يا لك من صديقة سيئة، قلبي يحترق، أريد أن أرتاح من كمية الشكوك التي تُحيط بي، وأنت تمارسين مزاحك في وقت غير مناسب.

سمعتها تضحك مجددًا:

- ليس لدي أيّة إجابة، فأنا لست عرّافةً أو دجّالة لأكشف لك المستور، جميع الحلول متوفرة لديك، وليس أمامك سوى مراقبته لتتخلّصي مما أنت به، الحديث المباشر معه لن يقدم أو يؤخر، هل سمعتِ في يوم من الأيام عن لصٍّ يعترف بأنه لص؟! استخدمي مكرَك الذي كان يعمل بكل طاقته أيام المراهقة، لماذا عطّلتِ هذه الخاصّيّةَ المهمة؟

زفرتْ بعدم رضا عن حديثها وقلت:

- أنت تعلمين أنني لا أثق بأيّة صديقة أخرى غيرك، أنت من عشتِ معي أغلب فصول حياتي، وتعرفين عنها الكثير، لهذا الأمر أقوم باستشارتك في جميع أموري.

ردّت علي:

- مستشارك الخاص، هذا أفضل مسمّى وظيفي لي، المشكلة أنني لا أستطيع أن أرفض لك أي طلب، كما قلت لك يا علياء، لا يوجد أمامك حل سوى المراقبة بدقة، أسلوب المواجهة الذي تتبعينه لن يضيف لك أي شيء، بل من الممكن أن يزيد الأمور تعقيدًا.

اقتنعتْ بإجابتها، وقلت لها:

- معك حق.. المواجهة المباشرة مع بعض الناس لا تُجدي نفعًا، فالكذب سهل، ليس أمامي سوى مراقبته.

انتهى الحديث على هذا المنوال، صديقتي تعرف كيف تقرأ عقول الرجال، والشيء الوحيد الذي كنت أفكر به هو مراقبته بالفعل، لماذا لا أقوم بهذا العمل كي أرتاح من كل ما يدور في رأسي؟

مرّت نصف ساعة على دخول وليد لدورة المياه، كنتُ أسير قريبةً من غرفة النوم، وفي أثناء مروري سمعت رنين هاتفه، وهذا ما أثار فضولي، اقتربت كثيرًا من الباب أريد سماعَه جيدًا.

- أعطني عنوان بيتها حتى أدوِّنَه لديّ.

هذا ما سمعته من وليد، مَن تلك التي يريد معرفة عنوان بيتها؟ ثم بعد ذلك سمعته يقول:

- بعد أقل من ساعة سأكون عندك، أريد معرفة سبب غيابها الطويل.

الأمر يزداد غرابةً، من تلك التي يستفسر عن غيابها الطويل؟ أكاد أجنُّ، ثم سمعته يقول:

- الفتاة كانت هادئةَ الملامح ونحيلةً، لا أعتقد أنها من تلك الفتيات اللّعوبات، وكانت صادقةً معي.

كل جملة أسمعها كانت تزيد نار الشكوك في داخلي، لماذا لم أفكر بهذه الطريقة منذ مدة طويلة، أغلق هاتفَه، وتوجهت إلى الكراسي بسرعة كنت أريد أن أبدوَ طبيعية، خرج من الغرفة ثم قال لي:

- أنا مضطر للخروج الآن، ومن المتوقّع أن لا أعود إلا ليلة الغد، أعتذر منك، وأعتقد أنك تعرفين أنني في ورطة كبيرة مع تلك القضية بعد هروب أحد المجرمين.

رددتُ عليه:

- لا مشكلة في ذلك، الله معك يا حبيبي.

التوتر والتفكير والشكوك يحيطون بي من كل جهة، كأنهم شياطين يعقبون رأسي بالوسوسة، وفي أول مراقبة دقيقة أكتشف أن هذا الرجلَ يتحدث عن فتاة، الأمر يزداد غرابة،

أريد أن أصل إلى نتيجة ليرتاح قلبي.

وبعد نصف ساعة خرج وهو يرتدي ملابسَه العسكرية، كنت وقتَها أفكر كثيرًا، كيف سأراقبُه؟ هل أتبعه؟ كيف لي أن أتبعه وأنا لا أعرف العنوان، نهضت وتوجّهت إلى الغرفة، اعذثُ ترتيبَها، وفي أثناء ذلك، وجدت ورقة صغيرة مكتوب فيها عنوان:

- هذا عنوان بيت الفتاة، على ما أعتقد أن وليدًا، نسيه قبل خروجه.

بدأ الشيطان يرمي شباكَه على رأسي:

- ليس لدي أيُّ حلول أخرى، يجب علي تتبُّع هذا الرجل.

اتصلت على صديقتي، وأبلغتُها بالمكالمة التي جرت ما بين زوجي والطرف الآخر الذي لا أعرف من يكون، وكان ردُّها حازمًا وقاطعًا في نفس الوقت:

- اذهبي الآن بسرعة إلى ذلك العنوان، ومن دون تردُّد، كي ترتاحي من كل الشكوك التي تدور في رأسك.

فواز:
21

شعور بالراحة والهدوء يتملّكني بمجرد رؤية وجه هذه الفتاة التي تجلس أمامي، عقلي لا يريد أن يتخلص من تخيلاته، أعلم جيدًا أن بعد هذا الحب والتعلق، سيخرج الوحش الذي بداخلي، وينقض على هذه المسكينة، نشوة الإدمان التي تسيطر علي لا تنتهي إلا عند سماع صوت حشرجة الموت وهي تخرج منها، كانت تجلس بتوجُس بعد أن قصصتُ لها قصتي منذ البداية، والسماء في الخارج بدأت ترسل خيوط الظلام.

- وماذا عن سلسلة القتل التي اشتهرتَ بها؟

هذا ما سمعتُه منها..

مددت يدي إلى الجريدة التي كانت قريبةً منا:

- كل ما ذكروه في الصحيفة ما هو إلا نقطة في بحر، الصحافة تتخيّل شيئًا والواقع شيء آخر، نسجوا روايات ضعيفةً عن طريقة قتلي، وذكروا بعض الحقائق.

نظراتُها لا تزال يكسوها الخوف، شعرت بأنها تحاول جمع شتات نفسها، ثم قالت:

- هذا يعني أنك تؤكد ممارستَك القتل بطرق بشعة، كيف حدث هذا؟ ومتى؟

لقد سألتِني عن أهم مرحلة في حياتي.. أجبتها قائلًا:

- بعدما كان العالم يغتالني كل يوم، أصبحت أنا من أمارس ألاعيبي على من لا يستحقُّون العشق، فكنت أختار ضحاياي حسب معايير دقيقة، كنت لا أقتل فقط لمجرد القتل، بل أريد أن أنتقم منهم، وأُشبِع الوحش الذي يسكنني، الذي يشعر بنشوة كبيرة ومتعة لا متناهية.

بدأ الفصل الثاني من حكايتي بعد خروجي من الطب النفسي، لم تكن أجواء منزلي مريحة لي، بسبب كثرة حديث والدتي وشكواها من أبي، فقررت السكن بعيدًا عنهم وأوحيث لهم أنني أريد الزواج، وقمت بتجهيز مسكنٍ صغير لي، في هذه الفترة كنت أماطل أمي التي كانت تُغدقُ عليّ بالأموال بلا توقف، حتى قمت بالدخول على أحد برامج التعارف في الإنترنت، هذا العالَم سهّل علينا عملية التواصل مع الغرباء بشكل رهيب، أشعر بالسعادة لمجرد دخولي إليه، في البداية كان الهدف قتل المَلل، وبعد مرور الوقت أصبح هذا البرنامج الشهير وسيلةً لاصطياد الفرائس، وكانت الصورة التعريفية لي عبارةً عن تلك الحلوى "المصاصة"، وهي ما أشتهر به. هل مرت عليك هذه الصورة؟

صمتت المسكينة كأنها تريد استيعاب ما أقول، ثم أجابتني:

- لا لم أعرف هذه الصورة التي تتحدث عنها، فأنا لست من روّاد هذه البرامج.

ابتسمتُ بمكر وقلت:

- على ما أظن فأنت لا تملكين أي حساب على برنامج الأنستغرام؟

لم تُجِب، وأكملت حديثي:

- كانت أول ضحية تدعى سارة، لم أختزها عبثًا، فقد كانت طوال الوقت تضع مقولات عن الخيانة وظلم الناس لها، فدخلت إليها من هذا الباب، رويدًا رويدًا إلى أن استطعت الحديث معها، كنا نتحدث لفترات طويلة، حتى تجرأت في أحد الأيام وطلبت منها الخروج لشرب القهوة، لم تُمانع على الإطلاق بل على العكس، فهي على ما تزعم مرتاحة لي، وبالفعل خرجنا في اليوم الموعود، وعندما رأيتها كانت الطامّة أنها بنفس مواصفات إسراء، نحيلة الجسد، هادئة الملامح، ذات عينين عسليّتين، بيضاء البشرة، وشعرها أسود مثلك تمامًا، بعد التحية والسلام جلسنا إلى أحد الطاولات في المقهى الذي اختارته هي، طلبنا مشروباتنا وبدأنا بالتحدث عن أنفسنا، والذي فهمته من كلامها أنها مطلقة، ولم تكن تحب زوجها، فهي ارتبطت به بعد زواج تقليدي، كانت لا تشعر بوجوده أبدًا، بعدها فضلَت أن تقيمَ علاقات خارج إطار الزواج، وهذا ما أوحى لي أنها تخونه، فلم يمضِ على انفصالها عنه سوى أشهر قليلة، مر على علاقتي بها أكثر من شهر، وكنت بارعًا في تقمُّص شخصية المحب، وكانت تناديني دائمًا، برجل المصّاصة، علامة حبي لذلك النوع من الحلوى، ودائمًا ما تهديها لي بعد أي لقاء، طبعًا كنت قد نسجتُ لها قصة من خيالي عن وضعي الاجتماعي، وأنني

منفصل، بدأتْ هذه الغبيّة تتعمّق داخل شِباكِ صَيدي، وكل ما يربطُني بها أنها تشبه إسراء لا غير، وذات يوم اتصلت بي وأخبرتني بأن طليقها نادمٌ على أسلوبه السابق معها، وطلب منها الرجوع إليه وسيُلبي جميع طلباتها وأنها في حَيرة من أمرها، هل ترجع إليه؟ خاصة وأنه يربط بينهما طفلة صغيرة، أم تبقى معي؟ أحسست وقتها بنار الغضب تحرقُ جوفي، لكنني تمالكتُ نفسي وطلبت منها أن أراها لمناقشة هذا الموضوع، وافقت على ذلك على أن يكون اللقاء في المخيم الذي أعدَدتُه من أجل قضاء الوقت، كنا في منتصف شهر ديسمبر، كان المخيم في منطقة بنيدر الخاصة بالمخيّمات، لم أتردّد في تلبية دعوتها، وصلتُ قبل غروب الشمس، كانت الأجواء جميلة وهادئة، وهناك بعض من قَرَصَات البرد، قضيتُ معها ساعات في النقاش، حتى إنها باتت تستشيرني كأني أحد أفراد عائلتها، لم أستطع مقاومة ما تفعله، وهنا قلت لها جملة قلبت اللحظات الجميلة رأسًا على عقب:

- كل النساء خائنات.

لم تعجبها جملتي وقالت:

- أنا لم أخنْ أحدًا، كل ما في الأمر أنني أفكر بإصلاح حياتي التي تبعثرت.

لم أستلطف ردّها، وبعدها بدأتُ أجادلها، وهي ترى أن الرجال هم الأحقُّ بلقب "الخَوَنة"؛ فهُم مجرد آلة شهوانية لا تتردّدُ لحظةً في إشباع تلك الرغبات، كانت تلك الشرارة التي

أيقظت ذلك الوحش من شباته، أصبحت أرى أن هذه المرأة لا تستحق الحياة، ومن دون شعور أطبقت يدي على رقبتها، في البداية كانت لا تقاوم وتظنُّ أن ما أقوم به مجرّد مزاح ثقيل، وما هي إلّا ثوان لتدرك أن ما أقوم به جِدّيٌ، وهنا بدأت بالمقاومة، وهي تحاول إبعاد يدي عن رقبتها، سمعت بعدها صوتَ تلك الحشرجة التي تُشعرني بالمتعة، دقائق وزاغت عيناها بسبب قوة الضغط، لأشعر بعدها أنها ذابت بين يديّ لتسقط على الأرض جثةً هامدة بلا حراك.

علامات الدهشة ظهرت على وجه فجر بعد سماعها تلك القصة، وقالت:

- قتلتَها بدم بارد؟! المسكينة لا تستحقُّ هذا! ما الجُرم الذي فعلته؟

أجبتها:

- لقد فعلت الكثير، يكفي أنها كانت خائنة لزوجها ولم تسعَ لإصلاح ما بينهما، والجُرم الثاني أنها كانت تشبه إسراء بالشكل والفعل، وما دامت هي كذلك فهي تستحق الموت، وهناك أيضًا وحش بداخلي يحتاج لتغذيته بالنشوة التي تعتريه عند سماع صوت الحشرجة التي تصدرُ من جوف الضحية، كنت لا أسمع لحظتَها إلّا همسات الريح التي تتلاعبُ بالخيمة، بقيتُ جالسًا أمام جثّتها لمدة خمس دقائق، لا أعرف كيف أتصرف، ثم بعد ذلك قلت:

- كان هذا بسبب إسراء، وبسبب الذين قَتلوا بداخلي روحَ

الإنسان، أنت لا تعرفين مَن إسراء، وكل ما أريده أن أحكي لك قصتها.

وبالفعل حكيت القصة كاملة، وماذا فعلته بي إسراء، كأنها حيّةٌ تستمع، وفي آخر الأمر سألتها سؤالًا:

- كنت أتمنى لو أنني أُخرج قلب إسراء وأرى كيف لهذا القلب الرقيق أن يحمل بداخله الخيانة.

وقعت عيني على سكينٍ كانت بالقرب مني، أمسكتُها، ثم غرزتها بصدر سارة، وبعشوائية أخرجت قلبَها، كنتُ في قمة انتشائي.

خرجَت عينا فجر من محجرَيهما بعد سماع هذه الجملة، وقالت باشمئزاز:

- كيف فعلتَ هذا؟ لا أدري ما هو الشعور الذي بداخلك، وأي قلب كنتَ تحملُه ما بين ضلوعك!!

نهضت من مكاني وأنا أنظر إليها وعلامات الاستمتاع على وجهي:

- كان شعورًا جميلًا، اكتملت دائرةُ اللّذة بعد أن قتلتُ سارة، ابتعدت عن المكان بهدوء، بعد أن غسلتُ يدي ونظفتُ ملابسي، كنت كالمتوّج بالنصر، وأحمل كأس البطولة الذي كان عبارةً عن قلبها، وانطلقتُ إلى منزلي، وأنا أعيش أكبر لحظات السعادة.

قالت لي بعد انتهائي:

- وماذا حصل بعد ذلك؟ لماذا لم تقبض عليك الشرطة كونك لم تخطّط لكل هذا؟

هنا تذكرتُ شيئًا وقلت:

- مَن قال لك أنني لم أخطط، لم أترك ورائي أيّ دليل، فحسابي في برنامج الأنستغرام كان مزيفًا ومربوطًا بمعلومات غير حقيقية، وخطُّ الهاتف الذي أتواصل به معها، لم تكن له أيّةُ بيانات.

علامات الخوف والتوتر بانت على وجهها حينما قالت:

- لم يكن قتلك لها بمحض المصادفة؟ إنما جاء بعد تخطيط.

هززتُ رأسي مؤكدًا لها، وقلت:

- نعم كنت مخططًا لكل شيء، إلا مسألة انتزاع قلبها فحدثت مصادفة، كنت أريد أن أُشبع ما بداخلي، مرّ شهر على هذه الحادثة، كنتُ أتابع الأخبار، والجميع يتكلم عنها، لكنهم لم يتوصّلوا للجاني، ونسج البعض قصصًا غير مرتبطة بالواقع، وقتها تأكدتُ أنهم بعيدون كل البعد عني، وبدأت في البحث عن ضحية أخرى.

قاطعتني فجر وقالت:

- طوال هذا الوقت لم تعد إلى رُشدك، ألم تشعر بالندم؟

ابتسمتُ ساخرًا من كلامها:

- عن أي ندم تتحدثين؟! كنت متحمّسًا للقيام بعملية أخرى،

لا تزال لذة ما فعلته تذوب بي كالسكر، وأريد تكرارَها، وقمتُ بنفس الخطوات التي اتبعتُها في المرة الأولى، رصدتُ ثم اخترتُ، وبعدها مثّلتُ، وادّعيت الحبّ، وأخيرًا قتلتُ.

نهضت فجر من مكانها وهي تقول:

- لا أصدق ما أسمعه! هل بالفعل يعيش بيننا بشر مثلُك؟ كيف فعلت هذا الأمر وأفلتَّ من تلك الحادثة؟!

كنت أنظر لها بهدوء، أتخيل انفعالات فرائسي السابقة وأجبتُها:

- الضحية الثانية كانت في أواخر شهر يناير، بعد أن نصبتُ خيمةً في البر، لكن هذه المرة في منطقة الصبية، وكان اسمها دلال، وبنفس المواصفات المطلوبة، بعمر لم يتجاوز الخامسةَ والعشرين، كانت أكثر حماسًا وجُرأة من سارة، وهي من كانت تطلب الخروج معي، لكني كنت أحاول التظاهر بأنني أريد أن أعرفها أكثر لكي تثق بي، وهذا ما حصل دعوتُها للمخيم، وهذه المرة كنت جاهزًا لكل شيء، الفرق الوحيد أنها لم يسبق لها الزواج، وتتفاخر بعلاقتها السابقة، وأن الرجال لا يستحقُّون الحب، وتعتبرُهم جسرًا لبلوغ أهدافها، كنت أكثر رغبة في الإجهاز عليها، وعندما قابلتني، كنت أنا من يجلب تلك المصاصة كهدية للتعارف بيننا، لا تعلمين كم هي سعادتها بتلك المصاصة، وكانت تقول:

- هذه المصاصة تذكّرُني بالماضي الجميل عندما كان يصطحبني والدي للبقالة.

دائمًا ما كانت تتفاخر بأبيها:

- ليت الرجال مثل والدي، فلم أرَ رجلًا بمواصفاته، وأغلب الرجال هم مجرّدُ ذكور فقط.

لم أتردد لحظة واحدة، بل قمتُ سريعًا بالإطباق على رقبتها، ولم تأخذ مني إلا ثواني حتى سقطت جثةً أمامي، أخرجتُ سكيني التي أعددتُها لهذا الشيء والتي كانت أكثر حدّة، ففي المرة السابقة كانت السكين غيرَ حادة ووجدت صعوبةً بالغة في استخراج قلب سارة، سحبتُها من ملابسها وألقيت بها في سيارتها، ثم وضعت المصاصة مكان قلبها المنتزَع، ومضيتُ فرِحًا بعد أن حققتُ انتصاري الثاني.

كانت علاماتُ الاشمئزاز تكاد تنطقُ في ووجهِها عندما قالت:

- لا أدري كيف كنتَ تتعامل مع هذه المعطيات بهذا الهدوء؟ ولا أعرف كيف كنتَ تُفلتُ منهم بهذه السهولة!!

نظرتُ للسكين الذي كان بجانبي، وقلت:

- من تموتُ روحُه قبل جسده، يصبحُ غيرَ مبالٍ بشيء، فلا شيء يخسرُه بعد خسارتِه لنفسه.

عمّ الصمتُ المكانَ وأكملت:

- لم يمضِ أسبوع، حتى أجهزتُ على ضحيّتي الثالثة، وبعد أسبوعَين على الرابعة، جُنّ جُنون الصحافة والإعلام، الكويت فيها قاتل متسلسل، أطلقوا عليّ الكثير من الألقاب لعل

أبرزها: (قاتل القلوب، والقاتل ذو المصاصة)، بينما الشرطة كانت وسط ضغط كبير، لأنها لم تجد أي خيط يوصلها إلي، فكل التحريات كانت تقف بمكان واحد.

انتشر الذعر والهلع في أرجاء البلاد، وأصبح الجميع يأخذُ حذرَه، بل النساء أصبخنَ يعذن إلى بيوتهنّ في وقت مبكّر، ومواقع التواصل تعج بالكثير من الأخبار والشائعات، هنا فكرت بتغيير خُططي فبعد أن كنث أقتل في البر، قررث أن أغيّر طريقتي، وانتقلت هذه المرة للشاليهات، فكنث أتواصل مع صاحب الشاليه من دون أن يراني، وأرسل له بطاقة مزورة تحملُ بيانات غير حقيقية، وأختار ضحيّتي ثم أُجهزُ عليها بنفس الطريقة وبنفس المواصفات، حتى وصل عدد الفرائس إلى تسعة.

قاطعَتْني مرةً أخرى وقالت:

- أرجوك لا تشرح لي كيف تقتل، أشعر أنني أريد أن أتقيّأ من كلامك، كل ما أريد أن أعرفه كيف قبضوا عليك؟

رددت عليها:

- الشعور بالأمان والثقة هو ما أوقعَني في الفخ، فبعد الحذر الشديد الذي كنت أتعامل به، في لحظة وقعت بخطأ جسيم، أوصلني إليهم بسهولة، كما تعرفين أغلب الضحايا من الإنترنت عبر برنامج الأنستغرام، هنا الشرطة بدأت تفهم نوعًا ما خُططي، وراحت تنشر المباحثَ به، وتدخل بشخصيات نسائية، ولا أنكر أنهم كانوا يعملون باحترافية، فكانوا

يتتبّعون خطواتي ويدرسونها جيدًا، إلى أن نصبوا لي الفخ، فكنتُ أتحدث مع فتاة كما كنت أعتقد في البداية، وأنسج لها قصصًا من الخيال، هنا تأكدت الشرطة أنني القاتل المنشود، ولم يبقَ أمامهم سوى إلقاء القبض علي بالجرم المشهود، فراحوا يتتبعون "الآي بي" الخاص بجهازي ورصدوا منزلي، وبينما كنت نائمًا، لم أُفق إلّا والشرطةُ تقتحم مسكني، ولم يكشفني سوى تلك القلوب التي كنتُ أحتفظُ بها في بعض المحالِيل كذكرى من الضحايا.

قالت لي:

- متى ألقوا القبض عليك؟

أجبتها:

- منذ عدة أيام، وعلى ما أعتقد لا يزال الحظ يقف بجانبي، بعد تلك العاصفة التي حصلت في البلاد، هذه قصتي يا فجر.

لم تتحدّث بعدها، كانت صامتة لفترة، والخوف يتطاير من وجهِها ثم قالت:

- هل سأكون العاشرة؟ هل ستفعل معي مثلما فعلت مع الأخريات؟

وقفت أمام النافذة وكنت أنظر إلى الشارع من الخارج، وأجبتها:

- كنت ستكونين من ضمن القائمة، وما أنقذك أنك لا تحملين صفة الخيانة، كل ما أعرفه عنك أنك منفصلة بسبب خيانات

زوجك، ولدَيك علاقةٌ أيضًا على وشك الانتهاء وأنت فيها ضحية، بصراحة الآن لا أفكر بهذا كله، ما أريده أن أجد الفرصة حتى أهرب بعيدًا عن هذه الشرطة التي تريد إلقاء القبض علي.

وقبل أن أنهيَ كلامي سمعتُ صوتَ طرقاتٍ قوية على باب المنزل، نظرتُ من الشباك أريدُ التأكُّد من الطارق، التفتُّ نحو فجر ثم مددتُ يدي إلى السكين، وقلت:

- هل كنت تنتظرين أحدًا في هذا الوقت؟

بانت على وجهِها علامات الخوف وقالت:

- إطلاقًا.. لا أنتظر أحدًا صدِّقني.

وليد:
22

وصلت قسم الشرطة، لأجد الملازمَ حمد بانتظاري، ولم يترك لي أيّ فرصةٍ للحديث، وقال:

- قمنا بجميع تحرّياتِنا عن المنازل القريبة من القسم، وبعد البحث اكتشفنا أن هناك منزلًا، تغيّرت تحركاتُ أهله، منذ الليلة الأولى من الحادثة.

اعتدلت بجلستي وقلت:

- أي منزل تقصد بالضبط؟

أجابني:

- تذكرْ المنزلَ الذي يحمل الرقم عشرين، خرجت منه فتاةٌ بعد ليلة الغبار.

صمتُّ وأنا أحاول أن أتذكر:

- أتقصد الفتاة النحيلة هادئةَ الملامح، التي قالت لي أنها تعيش مع والدتها المريضة في المنزل الذي يقع وسط الشارع؟

هزّ زميلي رأسَه وقال:

- نعم هي من أقصدُها، بعد الليلة تلك، يقول الجيران أنهم سمعوا صوت سيارة الإسعاف، وتم نقلُ الأمِّ العليلةِ إلى المستشفى كما يحصل عادة، لأنها مريضةٌ بعدّة أمراض

وأبرزها الربو، لكن بعد هذا كله لم تصدر أي حركة من المنزل.

بدأت أفكر وتكلمت:

- من الممكن أنها ترافق والدتها، فعلى حسب ما فهمت من كلامها أنها تعيش معها وحدَها.

رد على كلامي:

- قمنا بالاتصال بالمستشفى، وسألنا عن هذه الفتاة، وأكدوا لنا أنها كانت ترافق والدتَها في البداية، ثم عادت إلى منزلها، ولم يرَوها من ذلك الوقت، سوى أنهم تلقوا اتصالًا واحدًا منها، وأخبرتهم أنها تُعاني من التعب، وأنها لا تستطيع الحضور إلى المستشفى.

قلت له:

- ألم تستفهم منه إن كانت بحالتها الطبيعية وهي تتحدث معهم؟

قال لي:

- الأشخاص في المستشفى لم يكونوا متأكدين من نبرة صوتها، وعلى ما يظنون أنها طبيعية.

جلست أفكر بما أخبرني به، ثم سألته:

- برأيك هل ترى أن الفتاة لها دخل بهذا الموضوع، أو علاقة مع القاتل، وتخبئه في منزلها؟

رد بحماس:

- كل الاحتمالات واردة يا سيدي، والبيت هو الوحيد الذي لم يكن بحالته الطبيعية بعد هروب المجرم، يعني أنه من الممكن أن يكون هدفَنا المنشود.

نهضتُ من مكاني:

- لا مجال للتأخير، هل استخرجتَ الأوراق الخاصةَ لاقتحام المنزل في حال وجدنا أيّة مقاومة؟

أجابني:

- بالتأكيد.. وأنا أنتظر الإشارة منك، لكي نذهب ونرصدَ المكان ونضع خطةً من أجل التأكد من صحة افتراضاتنا.

في هذه اللحظة رن الهاتف الخاص بالمكتب:

- مرحبًا سيدي.

العقيد بدر هو من كان على الطرف الآخر من المكالمة، فأجبته:

- كل الأمور تسير على ما يرام، أحتاج منك فقط ثلاث ساعات أخرى، لكي أتأكد من تحرّياتي الأخيرة.

رد عليّ بغِلظة وقال:

- الرأي العام مشتعل، وأمامك فرصة للساعة الحادية عشرة من مساء اليوم، وإن جرى غير ذلك فسأسحب منك القصية.

أجبته:

- هذا كل ما أحتاجه منك.

أغلقتُ الهاتف، وانطلقتُ مسرعًا إلى المكان الذي تدور حوله الشُّبهات...

علياء:

23

لم يكن أمامي سوى هذا الحل، انطلقت مسرعةً نحو العنوان، المكتوب في الورقة التي كانت على الطاولة بجانب فراش زوجي، كنت خائفةً ومترددة، والشكوك هي من تُجبرني على هذا الأمر، لا أريد أن أعيش في هذه الحالة السيئة، أريد الوصول لإجابات تُخرس هذه التساؤلات التي تثيرُها تصرُّفات وليد.

كان المكانُ هادئًا، لم أضع خطةً مُسبقةً لدخولي البيت، همّي الوحيد مقتصرٌ على الوصول في النهاية إلى هدفي المنشود، وقفتُ أمام الباب الذي كان مواربًا، ترددت مرةً أخرى هل أضغط على زر الجرس؟ وبعدها فكرت لو فعلتُ ذلك سأُقدّمُ خدمةً جليلةً لزوجي لكي ينجو بجلده، دخلت كاللصوص أراقب المكان بحذر شديد، أسيرُ بخطوات بطيئة، لأرى الباب الداخلي أمامي، لم أسمع وقتَها أي صوت سوى الهدوء المخيف.

لا أدري هل هذا ما خُيّل إليّ؟ كوني أدخل من دون استئذان، ذرتُ في الباحة، أبحثُ عن مكان يُدخلُني للبيت دون أن يشعر أحد، في هذا الوقت سمعت صوتًا قادمًا من الباب الخارجي، إنها خطوات أحدهم، التوتر بلغ أقصاه في نفسي، لم أجد أمامي إلا تلك السيارة التي كانت تقف في المرآب، اختبأت خلفها وبدأت بمراقبة صاحب الخطوات

القادم.

كان رجلًا على ما أعتقد أنه في العقد الثالث من عمره، حنطي البشرة، خفيف الشارب، طويل القامة، دخل بثقة ووقفَ أمام الباب الداخلي، وكان يعرف إلى أين يسير، مدّ يده ناحية المقبض محاولًا الدخولَ، لكنّه تفاجأ أن البابَ كان مغلقًا، فهمث هنا أنه ليس من سكان المنزل، لأنه لو كان كذلك، لقام بإخراج مفاتيحه الخاصة وفتح قفل الباب ودخل مباشرة إلى الداخل.

أخرجَ هاتفه النقال، وهمّ بالاتصال، ومن خلال تحرّكاته فهمث أن الجهة التي يتصل بها لم ترد، بعد أن بانت ملامح اليأس على وجهه.

فكرت حينها بالاتصال على صديقتي، لأخبرها عما فعلت، وفي أي ورطة وضعث بها نفسي.

- إنني في مأزق حقيقي

هذا ما قلته لصديقتي.

لم أسمع منها أي رد كأنها تريد أن تستوعب ما أقول، ثم قالت:

- ماذا تقصدين؟ عن أي مأزق تتكلمين!

رددت عليها:

- لقد تتبّعث العنوان، لمراقبة وليد، ووصلث إلى هذا المنزل، وتفاجأت بدخول رجل خلفي، واختبأث وراء السيارة.

سمعتها تقول:

- يا لك من حمقاء، كيف تقومين بهذا العمل! أنت تخطّيت كل الحدود.

قلتُ لها:

- أنت من أوقعَني في تلك المصيبة، كنت رافضةً لهذا الفعل وأصرارِكِ على تتبُّع وليد، ما الحل الآن؟

أجابتني:

- حسنًا.. اهدئي قليلًا.. ليس أمامك سوى حل واحد، المراقبة، وحاولي تسجيل كل ما ترينَه بجهازك، وإياك أن يتمّ اكتشافك.

أغلقت الهاتف، ولا أنكر أنني كنت خائفة كثيرًا، لا أدري كيف أتصرف، مددت طرف رأسي أريد مراقبة ما يحدث، كان الرجل يدور في المكان ينتظر أي شخص يفتح له الباب، ينظر للهاتف تارة وبعدها يطرق الباب، وبعد أقل من دقيقتين تم فتح الباب، لأرى فتاة نحيلة ذاتَ بشرة بيضاء تتحدث معه، كانت علامات وجهه عادية في البداية وهو يتحدث معها، ثوانٍ وتغيرت ملامحه، وبعدها شحب للداخل وأُغلِقَ البابُ خلفه.

ترددت كثيرًا قبل خروجي من مخبئي، لأتشجع وأسير متجهة نحو الباب الذي دخل منه الرجل، وقفت خلفه لدقائق، في البداية لم أسمع أي شيء، وبعدها سمعت صوت جَلَبة

استمرّت لفترة ليست بطويلة، كأن هناك من يتحرّك بسرعة ويُسقط الأشياء، لم أفهم ما يجري خلف هذا الباب، ثم عَلَتْ صرخة امرأة، وبعدها عمّ الهدوء، تراجعتُ إلى الوراء من الخوف، وفي نفس الوقت لا أدري ماذا أفعل؟

وقبل أن اتخذ أي قرار، سمعت صوت مركبات الشرطة، وهي تقترب من المكان، ارتجفَت أضلعي، وظننت أنهم قد اكتشفوا أمري وتم التبليغ عني، كنت أريد الفرار فورًا، وعندما توجهت للخروج كانت سياراتُ الشرطة قد سبقتني، لم أجد أمامي أي مفرٌ، لأعود مرة ثانية وأختبئ خلف السيارة، جلست أراقب وعيني ترى عددًا من رجال الشرطة وهم ينتشرون، لأرى زوجي يقف أمامَ الباب الذي دخل منه الرجل ومعه عددٌ من الأفراد الآخرين.

فجر:
24

لم يعطني أيّة فرصة للرد، وهذه المرة الأولى التي أرى علامات الخوف على وجهه، تقدم إلي وبيده السكين، وبدأ يبحث عن الهاتف الذي كان على وضع الهزاز، أمسكَه والشاشة تؤكد أن هناك اتصالًا، قال لي والغضب يتطاير كالشرار من عينَيه:

- لماذا هذا الملعون لا يزال يتصل بك؟

أجبته وكل جسمي ينتفض:

- صدقني لا أعلم، أنا نفسي متفاجئة.

لم تكن إجاباتي مقنعة، وهذا ما اكتشفته من نظرات عينيه.

الطرقات على الباب الخارجي لا تزال متواصلةً، وهو ينظر إليّ بغيظ ونفاد صبر:

- لا تعرفين مَن الطّارق؟ ولا تدرين لماذا يتصل هذا؟

سحبني من يدي، وبدأ في الهبوط للطابق الأرضي، وكان وقتها يسير خلفي، والسكين كانت ملتصقةً بظهري، ما زال الطارق يواصل عملَه بإصرار، وعندما وصلنا للباب الخارجي، قال لي بصيغة آمِرة:

- ازيحي ستار النافذة وانظري مَن هو هذا المتطفِّل.

نظرت من الشباك القريب، لأري جابرًا يقف.. تظاهرت

بالدهشة وقلت:

- إنه عشيقي جابر، هذا الرجل عنيد، ويحاول بشتى الطرق أن يُعيد العلاقة، رغم أنني أفهمته أن علاقتي به قد انتهت.

بانت علاماتُ عدم الرضا على وجهه، عندما سألني:

- جابر ذلك الرجل الذي خانك مع شقيقتك؟

هززت رأسي بالتأكيد، ثم سمعته يقول:

- الخونة لا يستحقُّون الحياة، أدخليه بهدوء، حتى أعرف كيف أتفاهم معه.

ترددت في البداية، التهديد الذي خلفي هو مَن جعلني أفتح الباب لجابر، وأول ما رأيته لم أنطق بأيّة كلمة، كان ينظر لي وفي عينيه الكثير من العتب، وقبل أن أتفوّه بكلمة، باغتنا فواز بحركة غير متوقعة وجرّه بعنف وأدخله للداخل واضعًا السكين ناحية رقبته.

الدهشة والذعر ملأت وجه جابر، ينظر إلي بعينين تائهتَين، غير مدركٍ لِمَا يحصل، فجأة أتته ضربةٌ على رأسه من دون أي مقدمات، ليسقط على الأرض والدماء تتفجر منه، يحاول استيعاب ما يجري واضعًا يده على هامتِه، ومن أين ظهر له هذا الرجل؟ لكن الألم والخوف هما مَن يُحكِمُ السيطرة عليه، لم أسمع منه سوى جملة واحدة:

- مَن أنت؟ لِمَ تفعل بي كل هذا؟

أجابه فواز وقال:

- ألم تسمع عن تلك الجملة التي تقول: "الخَوَنةُ لا يستحقُّون الحياة"، أنا العدالة التي جلبَتْها لك الأقدار.

ثم هوى عليه بالسكين يطعنُه في صدره دون رحمة، كانت صرخة واحدة خرجت من جابر، وبعدها لم أسمع له أي صوت، فواز كان ينهالُ عليه بالطعنات المتتالية والدماءُ تخرج منه من كل جانب.

كنت أقف أمامه، أتابع مشهد الطعنات، الهلعُ يكبّلني والصدمة تبتلعني، لا أدري ماذا أفعل، وقف فواز وهو ينظر إلى جابر، ركّز عليه وقال:

- هذا الملعون لا تزال الحياة متشبثةً به، رغم ما فعلت.

صعد على صدره ثم وضع يدَيه على رقبته، رأيت مقاومةً بسيطة من جابر الذي أراد أن يُبعد فواز عنه، يصارع للتمسك بحبال الحياة، لأسمع صوت الحشرجة التي كانت إعلانًا واضحًا عن انتهاء ساعاته في هذه الدنيا.

نهض فواز من على جثّته الهامدة، كان يلهث من التعب، وفي نفس الوقت علامات السعادة على وجهه، لا أدري كيف لهذا المختلّ أن يأتي بهذه السعادة بمثل هذه الظروف، قال لي:

- هذا الصوت الذي يجعلني بحالة النشوة، يعيدُني للحياة مرة أخرى، ولن أرتاح إلا بعد أن أخرج قلبَه من جسده.

ظننت أن الأمر انتهى إلى هذا الحد، لكنه أبى أن يكون

كذلك.

كنت جالسةً أمامه متكوّرة على نفسي من الرعب وأبكي، فهذه هي المرة الأولى التي أرى أحدًا يُقتَل أمامي.

عاد فواز ليأخذ السكينة التي كانت بجانب جثة جابر، وفهمتُ لحظتها أنه يريد أن يشق صدرَه لاقتلاع قلبه كما كان يفعل بجثث ضحاياه، صرخت:

- أرجوك لا تفعل هذا، يكفي أتوسّل إليك، فما رأيته كفيلٌ بأن يبقيني مصدومةً لعشر سنوات قادمة.

لم تكن هناك أيّة علامة من علامات الندم على وجه فواز، اللا مبالاة هي التي كانت تطفو على وجهه حينما قال:

- ألم أقل لك أنا لا أقتل سوى الخَوَنة، وهذه هي الضحية العاشرة، لقد خلّصتُك من هذا الأحمق الخائن.

ابتلعتُ ريقي، جسدي كلُّه يرتعش، رائحة الموت انتشرت في المكان، وفي هذه اللحظة سمعنا صوت مركبات الشرطة وهي تدوي قريبًا من المنزل، نظر إلي وصرخ بوجهي:

- أيّتها الملعونة! لقد أبلغت الشرطةَ في أثناء قتلي لهذا الرجل!

وقفت وأنا أرتجف خوفًا ثم قلت:

- صدقني لم أفعل ذلك، وكيف لي أن أبلغَهم والهاتفُ لا يزال في غرفتي!

سمعنا من خلف الباب، حركةَ خطوات كثير، وفهمتُ أنهم أفراد الشرطة ينتشرون في الساحة الأمامية، ثم سحبني من شعري وهو يحاول أن يجد مكانًا للاختباء.

وليد:
25

لم يكن أمامنا سوى أن نقحتم المكان، بعد أن طرقنا الباب، ولم نـجد أي استجابة نظرت إلى زميلي وقلت:

- اكسرِ الباب! علينا الدخول، إحساسي يقول لي إنّ الفتاة التي تسكن المنزل بخطر الآن.

صرخ زميلي بأفراد الشرطة آمرًا إياهم باقتحام المنزل، وما هي إلا دقائق حتى استطعنا كسر الباب، ودخلنا بحذر شديد، في البداية كان المكان هادئًا جدًا، والأضواء مطفأة والظلام شبه دامس، كنا نتحسّس الأماكن ونركز على مصادر الصوت، وقتها تعثرت بشيء فسقطتُ على الأرض، حدسي الأمني أكّد لي أن ما وقعتُ عليه لم يكن شيئًا عاديًا، هنا صِحتُ بهم:

- افتحوا الأنوار بسرعة.

في أثناء نهوضي شعرت أن هناك مادةً لزجة قد التصقت بيدي، وما شاهدتُه بعد إشعال الأضواء كان غير متوقعٍ، إنها الدماء التي غطت بعض ملابسي وقليلًا من يدي، نظرت إلى مكان وقوعي فرأيت جثةً لرجل.

استنفر جميع أفراد الشرطة، وبدأت أنظر إلى الجثة وأدقق بها، كان الذهول هو من يسيطر على مَن معي، أفكر مَن هذا الممدد على أرض الصالة، وهل ما نقوم به الآن صحيح؟ وهل جميع توقُّعاتنا سليمة، وأن المجرم الطليق موجود في هذه

الدار؟ قال الملازم حمد:

- ابحثوا جيدًا، المجرم موجود هنا بالتأكيد، لا تُعطوا أيّة فرصة للتخمين.

انتشر الجميع في كافة الأرجاء، كنت مع عدد من الأفراد نبحث عنه، في هذه اللحظة سمعت صوتًا نسائيًا خافتًا، قادمًا من تحت السلم، أعطيت إشارة للزملاء الذين تقدّموا نحو مصدر الصوت، اقتربنا أكثر لنجد الفتاة تقف وهي ترتجف وكأنها مصعوقة، ووجهُها تلوح منه علامات الذعر وخلفها ذلك المعتوه.

- إذا اقتربتم أكثر لن أتردّد بقتلها، فكروا جيدًا قبل اتخاذ أي قرار!!

هذا ما سمعناه من المجرم، هددتُه قائلًا:

- سلم نفسك وكفاك عبثًا، لن تجد لنفسك أي مفرّ.

صرخ بنا قائلًا وهو يضع السكينة على رقبة الفتاة:

- صدقني ليس لدي ما أخسره، أنت تتعامل مع شخص لا يندم على أفعاله التي قام بها، بل على العكس تمامًا، فأنا فخور بتخليص الكون من مَكْرِ الخَوَنة، أريد الهروب فقط، ولا أرغب بأذية أحد، وأعدك أنني سأسلم لكم فجر سليمةً بلا خدش.

تجمّع أفراد الشرطة ناحيته ومعهم زميلي بعد اكتشاف مكانه، وطوال هذا الوقت كنا نحاول بالطرق السلميّة،

أن نُلقي القبض عليه، من دون أن نؤذي الفتاة التي تحت سيطرته، قال لي زميلي:

- معنا عدد من القناصة المهرة هل تريد أن أعطيَهم الأمر بقتله؟

نظرت له وقلت:

- لا.. أريده حيًا، القتل آخرُ حل سأستخدمُه.

مرت دقائقُ كأنها الدهر، والجميع مترقِّب لأي ردة فعل من هذا المختلّ، هنا صرخت فجر وقالت:

- ساعدوني فهذا المجرم قد قتل زوجي قبل قليل بلا رحمة، وهو الآن يحاول قتلي.

سمعت صوت فواز يقول لفجر وهو ينظر إليها بدهشة:

- مَن زوجك الذي تتحدثين عنه؟

أردفَت فجر كلامَها:

- زوجي جابر الذي كنت تحتجزُه معي وقمتَ بقتله منذ برهة.

كنا نستمع بتركيز لهذا الحديث، وضع فواز يدَه على رأسه محاولًا استدراك الموقف وهو يردد:

- لا تختلفين عن الباقيات، لقد كذبتِ علي، أنت خائنةٌ مثلهنّ، وتستحقين الموت، بقاموسي الخَوَنةُ يموتون، كم أنا ساذجٌ! كيف وثقتُ بك؟

رفع سكينَه إلى الأعلى يحاول أن يسدد طعنة مباشرة لها:

وبردة فعل سريعة من فجر قامت بالمقاومة وهي تحاول منعَه من تسديد الطعنة لها، فقامت بعضِّه لدرجة أنه بات يصرخ كالمجنون محاولًا إبعاد فكّها عنه، في أثناء هذه الحركة سقطت السكين من يده، والمجرم يأنُّ من الألم، في هذه اللحظة انقضَضْنا عليه بسرعة كبيرة، وحاصرناه من جميع الجوانب لم يجد وقتَها أيّ مفرٍّ، أسقطناه على الأرض، والبعض منّا كان يوجّه أسلحتَه نحوه، والآخرون يُحكِمون قبضتَهم عليه، وفي هذه الأثناء كان يردد:

- الحقيرة كذبت عليّ معلما كذبت إسراء في السابق، لم أكن أنوي قتلها، عيناها أعطتني الأمان، لقد صدقتُ تلك النظرات الخادعة.

تنفّسنا الصعداء بعدما استطعنا إحكامَ سيطرتِنا عليه، وأنقذنا الفتاةَ من بين براثن يديه، لكنّ الحقير، ضرب أحد أفراد الشرطة بمكان حساس بحركة مباغتة، ثم أطلق رجلَيه سريعًا، ليفرّ هاربًا إلى الخارج، وسط ذهول الجميع، المعتوه لا يزال يقاوم.

- لا تخف يا سيدي المكان محاصر، ليس لديه أي فرصة للهروب، الرجال في الخارج سيلقون القبض عليه، ما علينا الآن سوى التأني.

فواز:
26

ليس لدي ما أخسره، ولن أهزم هذه المرة، مستعدّ لفعل أي شيء لكي أنـجو بنفسي من قبضتهم؛ وتلك الساقطة لن أرحمها ولن أترك ثأري منها يضيع كما فرطت به سابقًا، نار القهر تحرق قلبي بعد أن خدعتني فجر، وعند وصولي إلى الباب الخارجي، اكتشفت أن سيارات الشرطة تحاوط المنزل وتسد البوابة الخارجية له، انطلقتُ بلا تفكير في اتجاه المرآب ليتسنّى لي الاختباء داخل المركبة التي اختبأت فيها ليلة العاصفة الترابية، وعند وصولي تسمّرتُ مكاني من هول المفاجأة.

كانت هناك فتاة تقف وتنظر إلي بذهول، شُلّت قدماي عن الحركة، هذه المرة ليست تخيلات يفرضُها علي عقلي المريض، بل هي الحقيقة المطلقة مرتسمة أمامي، حبيبتي إسراء، تلك المخادعة التي طعنَت قلبي وأيقظت الوحشَ الذي يسكنني من سُباته، إنها هي بلا شك تقف بشحمها ولحمها

- فواز.. لم أتصور أنني سأراك مرة أخرى.

سألتها:

- لماذا تركتِني؟ كنتُ أعشقك بجنون، أحلم بك على الدوام، وباليوم الذي سيجمعنا تحت سقف واحد.

كانت ترتعد من الخوف عندما أجابتني:

- لم أعذكَ بشيء يا فواز، كنتَ مجرد فتاة مراهقة، فترةٌ تمر على الكثير منا، لم أقصد أذيّة قلبك، لم أعلم أنك كنت متعلّقًا بي بهذا الشكل من التعلق، أرجوك اتركني أذهب ولا تؤذني.

نظرت إليها بعيني الصياد الذي طالما بحث عن فريسته، كانت تتملّكني مشاعر الحقد مختلطةً بنوع من السعادة التي لم أعهدها من قبل، قلتُ لها وعلى وجهي ابتسامة:

- لا تزالين أنانية، ولا تفكرين سوى بنفسك، لن تُفلتي مني هذه المرة؛

القدر أتى بك إلي، وقدّمَك لي على طبق من ذَهب، لا مجال الآن للتخاذل، حان وقت الانتقام.

انقضضتُ عليها مثل ضبعٍ أحكمَ بفكّه على فريسته من رقبتها، أطبقتُ يدَيّ عليها، حاولَت الصراخَ مستنجدة:

- ساعدوني إنه يحاول قتلي..

كنت أسمع أفراد الشرطة وهم خلفي يصرخون عليّ ويأمرونني بالتوقف، لم أكن أبالي بأيّة كلمة يقولونها.

كنت أتنفس بشدة، والفرحة والغيظ يختلطان بداخلي، سمعت أحد أفراد الشرطة وهو يردد صارخًا:

- إنها زوجتي علياء! كيف وصلت لهذا المكان؟

لم أفكر بأيّة كلمة كانت تدور حولي، الأصوات تتعالى،

كنت أرى كل شيء أمامي في هذه الفترة بوضوح، الساحة الخارجية للمسكن تعجُّ بالكثير من أفراد الشرطة، ثم نظرت إلى عينَيها الزائغتَين اللّتين تطلبان الرحمة، هنا صرخت قائلًا:

- هذه التي ترونها كانت على علاقة بي، كنت أحبها حبًّا إلى درجة الجنون، لكنها لم تكن تبالي سوى بنفسها ولم ترحم قلبي، وأنا الآن يا إسراء لن أرحمك.

سمعت صوت أحد الأفراد يقول:

- عن أي إسراء يتكلم هذا المجنون؟ إنها زوجتي علياء!

قلت له:

- لم تكن صادقة معي البتة، حتى اسمها كانت تكذب به علي.. أي مغفّل أنا؟!

لا تزال نبرة التهديد والوعيد تخرج من الشرطة، والجميع يسدد أفواه أسلحتهم ناحيتي، وبحركة سريعة، درتُ بجسدي لأعطيَهم ظهري، لأرى وجه إسراء أو علياء، وقلت:

- كنت مستعدًا لعمل أي شيء لك، خسرتِني وجعلتِني أخسر نفسي، ولن أتجرع هذه الهزيمة وحدي.

ثم أطبقت يدي على رقبتها، وضغطت بكل قوتي، كانت تُقاوم مثلما فَعَلَت الأُخريات من قبلها، لم أعطِها أيّة فرصة، كنت أسمع صوتَ حشرجتها التي كانت تؤكد أن روحها بدأت تخرج من جسدها، لحظةُ السعادة هذه المرة امتزجت بها آلام الرصاص بعد أن أطلقتها الشرطة، والتي انغرست

بظهري، كنت سعيدًا لأنها كانت تموت ولم تُفلت من العقاب، خرّت حبيبتي الخائنة جثةً هامدةً أمامي، جثوتُ على ركبتي، روحي هي الأخرى تهرب من جسدي، ولم أجدني إلا وأنا أسقط عليها محتضنًا إياها، لكن هذه المرة بلا روح.

فجر:
27

كنت جالسة في مكتب المحقق في مخفر الشرطة، وخلايا جسدي تنتفض من هول الأحداث التي جرت، لا أنكر أن هناك سعادة كبيرة تختبئ بين أضلعي لا أستطيع وصفها، لقد نـجوت من أمرين حتميّين بفضل ذكائي وفِطنتي، أولها أنني تخلصت من هذا المجنون الذي كان يحتجزني طوال اليومَين الفائتَين، وفي الوقت نفسه استطعت أيضًا أن أنهي حياة زوجي، ذلك الحقير الذي كان بالفعل يخونني مع شقيقتي، لم أكن أكذب، ضربتُ عصفورَين بحجر واحد، ومن دون أن أتّهم بأيّة جريمة.

لم يكن الأمر مجرد مصادفة قادها لي القدر، بل فكّرت وخطّطتُ بمكر ودهاء، بالتحديد عندما أوحيتُ لفواز أن جابرًا مجرد عشيق، قد أنهيت علاقتي به بسبب خيانته، ولم يكذب فواز عندما قال: "إن الخَوَنةَ مصيرُهم الموت"، فاستطعت أن أستدرج جابرًا إلى المنزل، وكنت متأكدة أن فواز كان متعلّقًا بي كونه مريضًا نفسيًا، وما ينقصه وجَدَه عندي، ولن يرضى أن يشاركَه عشيقٌ سابق.

وبالفعل وصل جابر بالوقت المناسب، وفاز توقُّعي بعد أن أجهز عليه فواز بلا تردُّد ولا رحمة، الأمر الذي جعلني أعيش مشاعر متضاربة، لم أخبر الشرطةَ وقتَها، بل كنت أمثل أمامهم دور الضحية، التي كادت أن تكون من ضمن قائمة هذا

القاتل المتسلسل الطريد.

دخل علي أحد الضباط وقال:

- لا تزالين بحالة الصدمة؟

أجبته بصوت منخفض:

- نوعًا ما أحاول أن أفيق من هذه التجربة المريرة، لا تعلم كم كانت تلك اللحظات صعبة ومخيفة، حياتي كانت مهدّدة بالخطر، كوني أتعامل مع شخص لا آمنُ تصرفاته.

قال الضابط:

- هل أستطيع أن اسألك بعض الأسئلة؟

هززت رأسي بالموافقة.

- قولي لي ما الذي حدث بالضبط، منذ دخول ذلك المجرم بيتَك، وحتى لحظة اقتحامنا.

حكيت له قصتي، وأن زوجي جابر دخل المنزل كعادته، وتفاجئ بوجود هذا المجرم أمامَه والذي لم يرحمه وقتله بوحشية، لم أتصور في يوم من الأيام أن أكون في محل هذا الموقف.

وبعدها بكيت بحرارة أمامه، رغم أن السعادة كانت تفيض بصدري.

قال لي:

- الأمور على ما يرام، وأنت الآن بخير، سأؤجّل التحقيق

معك حتى تكوني بحال أفضل من هذه.

تركني وذهب، وبعدها توجّهت إلى المستشفى لكي أطمئنّ على والدتي التي لم أعلم بحالها منذ يومين.

وليد:
28

كان الحزن هو مَن يشق طريقَه لصدري، ولا زلتُ أعيش بحالة الصدمة، لم أتصور أن علياء نهايتُها ستكون بهذه الطريقة، فقدتُها ولا أدري كيف أتجاوز هذا كله، كنت متوقعًا الخسارةَ، ولم أدرِ أنني سأخسر شيئًا كبيرًا ومُهمًا في حياتي.

كانت صديقتُها هي من يجلس معي الآن، تُواسيني بعد هذه الفاجعة المريرة، وحكت لي ما دار قبل ساعة من اقتحامنا للمنزل، شكوكها هي من قادتها لحتفها.

كانت تتصور أنني أحد الخَوَنة الذين يحتجُّون بأعمالهم، وأني على موعدٍ غراميٍّ مع أحداهنّ، كنت أحبُّها كثيرًا، ولم أكن أعلم أيّ شيء عن ماضيها، سألت صديقتها وقلت:

- ما علاقة علياء بذلك القاتل؟

ردت علي بحزن كبير:

- لم أتوقع ولو لدقيقة واحدة أنّ القدر كان يخبّئ لعلياء كل هذا، لم أكن أعلم أن الماضي لا يُنسى أبدًا ويعود بأشكال مختلفة، المدعوُّ فواز كان على علاقة معها عندما كانت في التاسعة عشرة من عمرها، كانت كأيّة فتاة طائشة، اختلقَت لنفسها اسمًا وحياةً وقصصًا مزيفة، وأوهمث ذاك المعتوه بأن اسمَها إسراء، لم تكن تعلم أنها بهذا الفعل الطائش كانت تربّي وحشًا لن تستطيع السيطرة عليه عندما يكبر، وكما ترى انقضّ

عليها وانتقم منها شرّ انتقام، وأتمنى من الله أن يعوّضَك عن خسارتك الكبيرة.

قلت لها:

- لم أكن أتصور أن يحدث كل هذا، وبهذه الطريقة البشعة، أريد أن أطفئ نار شكوكي، هل علاقتها به كانت فقط في تلك الفترة؟

أخذت صديقتها نفسًا عميقًا:

- صدقني يا وليد.. علياء لم تخنك مع أي أحد منذ أن أختارتك زوجًا لها، وكانت تصون عِشرتَك، عيبُها الوحيد كان متمثلًا بشكوكها وغيرتِها التي لا تهدأ، المسكينة تعاني الكثير بسبب تلك الظنون والهواجس التي لا تعرف كيف لها أن تتوقف، وبصراحة أنت أيضًا ساعدتها على فعل هذا كله، وعزّزتَ هذه الأفكار برأسها بسبب غيابك المستمرّ عن حياتها، حتى باتت تشتكي إهمالَك لها ولأولادها.

كان حديثها واقعيًا ومؤلمًا في نفس الوقت، لا أدري هل غيابي هو الذي ألقى بأثره على علاقة زواجي، أم أن الأقدار جاءت كي تنتقم منها، أعلم أن الفترةَ المقبلةَ ستكون صعبةً عليّ حتى أتجاوز هذه الأزمة.

بعدها تلقّيتُ اتصالًا من العقيد بدر، يُعزيني ويواسيني بفقداني لزوجتي، ويهنئني على إتمام المهمة بنجاح، لا أدري هل ما فعلته كان بالفعل انتصارًا كما يقول، أم أنه مجرد منعطف جديد لحياتي؟

أصبحت أخافُ من القدر وتقلباتِه...

الخاتمة

هجرانُك لمن تحبُ بلا أسباب، قاتلٌ صامتٌ يتسلّل إلى الروح، ويتفشى داخلها كالمرض، والعبث بالقلوب كالذي يقلّبُ الجمر، من الممكن أن تقفزَ شرارةٌ منه وتحرق كل شيء، لا تقلْ: "إنها مجرّد علاقة عابرة أو علاقة للتسلية"، لا تدري لعلّك في هذه اللحظة تربّي وحشًا لا تستطيع ترويضَه عندما يكبر، الكلمة هي من تهزُّ العروش، الكلمة مثل الرصاصة إذا خرجت لن تعود، وبإمكانِها القتلُ بلا رحمة، فاختر كلماتك بعناية، ولا تثق بالقلوب التي لا تُبالي.